قسم التاريخ

جامعة جنوب الوادي

تاريخ أوروبا المعاصر

الفرقة الرابعة– عام تاريخ

أستاذ المقرر

د/آية عبد الوارث سليم

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب

جامعة جنوب الوادي

٢٠٢٣– ٢٠٢٤

أولًا الموضوعات	الصفحة
الفصل الأول **أوروبا والتحالفات العسكرية** – بسمارك ونظام التحالفات. – الموقف الدولي في أوروبا بعد حرب السبعين. – المسألة الشرقية. – التحالفات الأوروبية ومعاهدات الضمان (١٨٧٩ – ١٨٩٠) . – التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك. الفصل الثاني: **الأزمات الدولية التي أدت إلى قيام الحرب العالمية الأولى١٩١٤– ١٩١٨** أولًا: أزمة ضم البوسنة والهرسك. ثانيًا: أزمة أغادير. ثالثًا: الحروب البلقانية. رابعًا: مصرع ولي عهد النمسا خامسًا: الدول المشاركة في الحرب العالمية الأولى. الفصل الثالث: **الحرب العالمية الأولى ١٩١٤– ١٩١٨م** – الوضع الدولى قبل نشوب الحرب. – مسار الحرب – الجيش الفرنسي – الجيش البريطاني – الجيش الأمريكى نتائج الحرب العالمية الأولى – معاهدة فرساى ١٩١٩م	

الفصل الرابع: **أوروبا بين الحربين العالميتين**

تطور أوروبا بين الحربين

- ظهور الدكتاتوريات
- الشيوعية فى روسيا
- الفاشية في إيطاليا
- النازية في ألمانيا
- العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين
- عصبة الأمم

الفصل الخامس: الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩- ١٩٤٥م

أسباب الحرب العالمية الثانية

- قيام الحرب العالمية الثانية.
- أدوار الحرب
- نتائج الحرب العالمية الثانية

ثانيا: الأشكال والصور

ثالثًا: الخرائط.

رابعًا: المراجع

خامسًا: روابط الفيديو

https://www.youtube.com/watch?v=OgIN5x5x4Ow

https://www.youtube.com/watch?v=tf-3HFY5n5A

https://www.youtube.com/watch?v=pbuWDihmVmI

تمهيد

يتميز التاريخ الحديث بالتوسع الأوربي الذي فرضته ظروف أفرزتها النهضة الأوربية والثورة الصناعية والقوميات الناشئة، التي تطلعت إلى التوسع رمزاً للتفوق من ناحية، وبحثاً عن أسواق لتصريف منتجاتها من ناحية ثانية وتوظيف اليد العاملة والقضاء على البطالة من ناحية ثالثة، والبحث عن المزيد من المواد الخام من ناحية رابعة. وقد حاول المؤرخون تمييز أربعة مراحل من التوسع الأوربي منذ بداية العصور

أولاً: مرحلة التوسع القاري الحديثة، نتناولها فيما يلي:

وتعني التوسع داخل القارة الأوربية، وقد بدأت تلك المرحلة مع ظهور الدول القومية في مطلع العصر الحديث، وترتبط بمحاولات التوسع داخل القارة الأوربية، وقد اتخذت في البداية شكل وراثة العرش بين القوميات الناشئة مثل بريطانيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وإمبراطورية النمسا؛ فعند موت الإمبراطور مكسميليان انتقل عرش إمبراطورية النمسا إلى الإمبراطور الأسباني شارل الخامس، وعندما ضعفت الولايات الإيطالية تنافست عليها كل من فرنسا وأسبانيا. وتتضمن مرحلة التوسع القاري الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وحرب الوراثة الأسبانية (١٧٠٢ – ١٧١٣م) وحرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ – ١٧٤٨م) وكذلك حرب السنوات السبع بين فرنسا وإنجلترا (١٧٥٦ – ١٧٦٣م) والثورة الفرنسية وما ترتب عليها من حروب في الحقبة النابليونية، وحرب الإلزاس واللورين بين فرنسا وألمانيا ١٨٧٠م ، وتدخل في التوسع القاري حربي البلقان وبدايات الحربين العالميتين الأولى والثانية والحروب التوسعية للإمبراطورية الروسية، وتعد المحاولات الفاشية والنازية بين الحربين إحياء لهذا النمط من التوسع.

ثانياً: مرحلة التوسع الإمبريالي

وتعاصر المرحلة السابقة زمنياً، واستعمر بالمعنى الأوربي Colonies و Colonize لغة من الفعل عمر ويعمر وتعني إعمار أرض خربة لا صاحب لها No Man's Land، أو إعمار أرض لا يستطيع أهلها إعمارها، وهي تسمية خيالية لا علاقة لها بالواقع المريز فالأراضي المحتلة، ولم تشتكي الأرض من عدم قدرة أهلها على إعمارها. والمصطلح لا يعدو كونه محاولة لحل مشكلات الدول الكبرى مثل مشكلة البطالة وأسواق لتصريف المنتجات والحفاظ على التفوق للجنس الأبيض، وأورد جرانت وتمبرلي معنى الاستعمار استيطان الجنس الأبيض فيما وراء البحار. بدأت بوادر التوسع الاستعماري من جانب أسبانيا والبرتغال كرد فعل لحركة الاسترداد المسيحي لشبه جزيرة أيبيريا، حيث استولت البرتغال على سبتة ١٤١٥م ثم ميناء أغادير ١٥٠٤م، بينما استولى الأسبان على مليليه ١٤٩٧ ، وقد حالت حكومات المغرب القوية (سعدية وعلوية دون استيلاء الأوربيين على مزيد من أراضي المغرب. ومع نجاح الأسبان في الوصول إلى العالم الجديد تمكنت أسبانيا من ضم معظم أرجاء أمريكا اللاتينية، فيما استولت البرتغال على البرازيل ثم اتجهت عبر رأس الرجاء الصالح إلى الهند والشرق الأقصى.

وبحلول عام ١٥٨٠م آل عرش البرتغال بمستعمراتها إلى فيليب الثاني ملك أسبانيا، بعد أنت خلا عرش البرتغال من وريث للعرش، ولم تهنأ أسبانيا قلقي أسطولها هزيمة منكرة على يد البحرية الإنجليزية الناشئة في معركة الأرمادا ١٥٨٨م دخلت أسبانيا مرحلة الأقول، فيما شهدت الساحة نشاطاً ملحوظاً لدول جديدة منها هولندا وإنجلترا وفرنسا. فتمكنت القوى الأوربية من تكوين مستعمرات في الأمريكتين والشرق الأقصى وبعض الجزر الواقعة في الطريق، وبعض جيوب على الساحل الأفريقي، بما فيها مستعمرة الكاب التي تعاقبت عليها البرتغال فهولندا ثم إنجلترا.

تمكنت هولندا من فرض سيطرتها على طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السابع عشر، لذا حاولت إنجلترا وفرنسا كسر احتكار هولندا الطريق التجارة إلى الشرق، وخاضا معها عدة حروب أسفرت عام ٧٢ ١٦٧٤م عن إقرار مبدأ التعويض الأرضي فيما بينهم، ولم يمنع هذا الهدف المشترك بين إنجلترا وفرنسا من التنافس والتناحر من أجل السيطرة على المضايق في الطريق إلى الشرق؛ بدأ هذا التنافس في حوض البحر المتوسط بعقد سلسلة من المعاهدات التجارة من الدول الإسلامية ممثلة في العثمانيين ودول المغرب سعدية وعلوية، ثم تحول الصراع إلى صراع عسكري في حرب السنوات السبع ١٧٥٦– ١٧٦٣م فكانت سنة ١٧٥٩م سنة حاسمة في تاريخ الإمبراطورية الفرنسية، إذ فقدت مستعمراتها في كندا وجواد لوب في البحر الكاريبي وجوريا وفورت لويس في السنغال بغرب أفريقيا وبونديشري في الهند، لصالح إنجلترا التي تساهلت مع فرنسا في صلح ١٧٦٣م بسبب تعاطف أوربا مع الدول المنهزمة، فأعادت لها مستعمرتيها في الكاريبي (جواد لوب والمارتينيك) وأعادت لأسبانيا هافانا في الكاريبي ومانيلا في الشرق الأقصى، وإبان حرب الاستقلال الأمريكية استعادت فرنسا بعض مستعمراتها في جزر الهند الغربية وغرب أفريقيا.

وبانتهاء الحروب النابليونية خرجت بريطانيا بنصيب الأسد من مستعمرات فرنسا وأسبانيا والبرتغال، فلم يبق للدول الثلاث سوى بعض الجيوب الساحلية غير المؤثرة، في حين حرصت بريطانيا على فرض سيطرتها على المراكز المؤثرة فى طرق مواصلاتها العالمية إلى الشرق والغرب في مداخل البحار والمحيطات فأقمت سلسلة من القواعد البحرية في مسقط بمدخل الخليج العربي ١٦١٨م، ثم مضيق هرمز في المنطقة ذاتها ومستعمرة جبل طارق سنة ١٧٠٤م، واستولت على مستعمرة الكاب من هولندا ١٨١٤م نظير رد جاوه إليها، واستولت من فرنسا على مالطة

وجزر موريشيوس في أعقاب الحروب النابليونية سنة ١٨١٥م، واستولت على بعض جزر الهند الغربية وسنغافورة سنة ١٨١٩م، ثم استولت على عدن ١٨٣٩م، وفي سنة ١٨٧٨م فرضت سيطرتها على قبرص.

وإن كانت فرنسا قد فقدت معظم مستعمراتها في اليابسة عقب مؤتمرات الصلح ١٨١٥م، فليس معنى ذلك أنها فقدت نفوذها، فقد احتفظت بحقوقها في الصيد والتجارة في أعالي البحار، حيث تطورت الفكرة الاستعمارية، فأقرت الدول الكبرى فكرة مبدأ حرية التجارة وحقوق الصيد، في ظل مرحلة جديدة من مراحل الاستعمار، هي مرحلة الإمبريالية والكلمة تعني بلوغ التوسع مداه، الأمر الذي أطلق يد القوى الأوربية عقب مؤتمر برلين ١٨٧٨م ولعل أكبر الدول الاستعمارية التي استفادت من النظم الاستعمارية الجديدة كانت بريطانيا، التي تحكمت في تلك النظم لمصلحتها والحد من منافسة أعدائها، فاستحدثت نظم استثمارية جديدة في مستعمراتها ثم ألغت تجارة الرقيق عام ١٨٠٦م، ساعدها على ذلك أن إمبراطوريتها قامت على النشاط التجاري، وقد استفادت بريطانيا بهذه الطريقة من حماية مبدأ منرو في الولايات المتحدة الأمريكية، فأصبح لبريطانيا إمبراطورية غير رسمية إلى جوار إمبراطوريتها الرسمية.

وعندما حدث تسابق أوربي على تقسيم أفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حاولت بريطانيا أن تسيطر على مداخل ومخارج البحرين الأحمر والأبيض المتوسط. وعندما تمكنت بريطانيا من تأمين طريق مواصلاتها أخذت في توطين رعاياها في المستعمرات وعملت على توسيع مستعمراتها، فتغلبت على البنجاب في الهند سنة ١٨٥٧م، وأخضعته لنفوذها وعملت على تنمية الإدارة لدى الأمم الخاضعة لها، فلم يأت عام ١٨٦٠ حتى أقمت حكومات مسئولة في استراليا ونيوزيلندا وكندا، بينما تأخرت جنوب أفريقيا إلى سنة ١٩١٠م بسبب حروب بريطانيا

مـع البـوير عبـر ثلاثـة حـروب فـي أعـوام ١٨٤٨ و ١٨٨١ و ١٨٩٩ – ١٩٠٢م وانتهـى الأمـر بإقامـة اتحـاد جمـع بـين البريطـانيين والهولنـديين، وقـد سـاعدت هـذه السياسـة بريطانيـا فـي التخلص من المجرمين السياسيين وقدامى المحاربين وفائض السكان، لاسيما بعد الثورة الصناعية، التي عرفت طريقها إلى بريطانيا كأول دولة أوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أما التجربة الاستعمارية الفرنسية فقد اختلفت عن نظيرتها البريطانية، فبعد أن فقـدت فرنسـا معظـم مسـتعمراتها عـام ١٨١٥م لجـات إلـى أفريقيـا ثـم إلـى الشـرق الأقصـى، بدأت فرنسا بالجزائر على الساحل المقابل في سنة ١٨٣٠م ، وبعد سبع عشرة سنة من المقاومة التي قادها عبد القادر الجزائري تمكنت فرنسا من إحكام سيطرتها على الجزائر، ثم أخذت في شق الترع والقنوات وإنشاء شبكة من الطرق، واسـتقطبت اليهـود مـن الجزائـريين فمنحـتهم الجنسـية الفرنسـية، ثـم قامـت بتـوطين مواطنيها في الأراضي التي صادرتها من البكوات والزعماء الجزائريين وتدريجياً غدت الجزائر وكانها واحدة من المقاطعات الفرنسية، فمنحتها فرنسا حق انتخاب أعضاء البرلمان الفرنسي، ولم تتوقف فرنسا عن التوغل في الصحراء، في محاولة للاتصال بالجاليات الفرنسية التي استوطنت غرب أفريقيا، وقد أدى هذا التوسع إلى احتكاك فرنسا بسلطان المغرب وبأي تونس في الوقت الذي تطلعت فيه إيطاليا لاحتلال تونس، كما أثار التوسع الفرنسي في السودان الغربي ثائرة بريطانيا.

وشهد منتصف القرن التاسع عشر تنافساً دوليا متوازناً في الشرق الأقصى، بدأتـه بريطانيـا مـع الصـين فـي حـرب (٤٠ – ١٨٤٣م) لإرغامهـا علـى فـتح بعـض موانيها ولاسيما شنغهاي أمام التجارة الدولية التي كان معظمها من الأفيون، واستغلت فرنسـا الفرصـة فحصـلت لبعثتهـا التبشـيرية علـى حـق حمايـة مصـالح المـواطنين المسيحيين سنة ١٨٤٤م، وعندما حاولت الصين المقاومة تعاونت بريطانيا وفرنسا

في ضربها عامي ٥٨ ١٨٦٠م حتى فتحت الصين أبوابها على مصراعيها أمام التجارة الدولية، بما فيها تجارة الأفيون ومن ناحية أخرى وحف الدب الروسي في محاولة للوصول إلى المياه الدفيئة، فاستولى على بعض أراضي كوريا والصين ومنها ميناء فلاديفيستك. وعندما حدث اعتداء في جنوب الصين على البعثات التنصيرية الفرنسية أرسل نابليون الثالث حملة استولت على ما يعرف بالصين الهندية وجزء من كمبوديا في الفترة من ١٨٦٢ – ١٨٨٥م، في محاولة لإيجاد توازن مع ممتلكات بريطانيا في هونج كونج والفلبين ونيوزيلندا واستراليا.

تعددت دوافع روسيا للتوسع في آسيا، فقد كان توسعها في سيبيريا للتخلص من العمالة الزائدة والمجرمين السياسيين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، أما في الصين فكان الهدف متمثلا في البحث عن ثغر على المحيط الهادئ لا يتجمد ماؤه، ولكن مع تأجج مسألة الشرق الأقصى وسياسة الباب المفتوح في الصين توقف الزحف الروسي سنة ١٨٦٠م عند ميناء فلاديفيستك الذي لا يتجمد ماؤه إلا في بعض شهور الشتاء، فحولت روسيا نشاطها إلى التركستان والدويلات الإسلامية الواقعة شمال وشمال غرب إيران وأفغانستان، فاستولت على طشقند سنة ١٨٦٤م، وسمرقند ثم كل من التركستان الشرقية والغربية سنة ١٨٧٣م. وحالت الصحراء القاحلة وجبال أفغانستان دون وقوع صدام بين بريطانيا وروسيا، وكانت بريطانيا قد تصدت لروسيا عندما اعتدت على أفغانستان سنة ١٨٨٥م فتحولت إلى منشوريا في الصين لتقع في صدام مباشر اليابان، وانتهى الأمر بهزيمة قاسية للدب الروسي على يد اليابان الفتية التي لم يتجاوز تاريخها الحديث نصف قرن. وشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تنافساً أوربياً حول استعمار أفريقيا، إلى درجة أن الجزء المستعمر من أفريقيا قبل مؤتمر برلين ١٨٧٨م لم يتجاوز ١٠% من مساحة القارة السوداء، وبنهاية القرن التاسع عشر لم يتبق من القارة السوداء مستقلاً سوى

١٠% فقط من مساحتها، أي أن حوالي ٨٠% من مساحة القارة المذكورة تم احتلاله خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ ففي سنة ١٨٨١ انقضت فرنسا على تونس، تبارك خطواتها كل من بريطانيا وألمانيا، في حين استشاطت إيطاليا غضباً، وفي العام التالي التهمت بريطانيا مصر، واعتبرت فرنسا أنها تعرضت لخديعة كبرى من جانب بريطانيا، ففرنسا صاحبة امتياز حفر قناة السويس وشريكة بريطانيا في المراقبة الثنائية، لكن بريطانيا اشترت نصيب مصر في أسهم القناة بالاتفاق مع الخديو إسماعيل دون علم فرنسا كما استشاط الوطنيون في مصر غضباً بسبب تلاشي شخصية الخديو أم بريطانيا، واستغلت بريطانيا أحداث الشغب في الإسكندرية ضد الخديوي وتدخلت بقواتها المسلحة لقمع ما اعتبرته ثورة ضد الخديوي واحتلت مصر في يونيو ١٨٨٢ ووعدت بريطانيا بالجلاء عن مصر بعد استتباب الأمن بها، لكنها كانت مجرد تهدئة لغضب كل من الدولة العثمانية وفرنسا وروسيا. وتبنت فرنسا المقاومة في مصر، وبلغت العداوة مداها في نهاية القرن التاسع عشر عندما تقدمت الجيوش الفرنسية من السنغال على السودان الغربي لتطويق الوجود الإنجليزي وإعاقته حتى التقت القوتان عند فاشودا غربي السودان ١٨٩٩م ، وكاد يقع صدام مسلح بينهما لولا مبدأ التعويض الأرضي التي أقرته الدول الأوربية في مؤتمر برلين الثاني فظهر نوع من التقارب بين الدولتان اكتملت حلقاته في سنة ١٩٠٤م، وأسفرت هذه السياسة عن إطلاق يد فرنسا وأسبانيا في المغرب الأقصى. مع أما ألمانيا التي كانت عازفة لمدة طويلة عن الاستعمار جاء تأييدها لبريطانيا في مصر طمعاً في تأييد بريطانيا لها في الحصول على بعض المستعمرات في أفريقيا لتأمين تجارتها، ففي يوليو من عام ١٨٨٢م أعلنت ألمانيا ضم ساحل الكاميرون وتوجو، وبعد نزاع مع بريطانيا تم تقسيم غينيا الجديدة إلى جزاين؛ شمالي لألمانيا وجنوبي لبريطانيا، وفي سنتي ٨٤/١٨٨٥ ضمت ألمانيا أفريقيا الشرقية (تنجانيقا) وفي خلال عامين أصبح لألمانيا إمبراطورية كبيرة دون أسطول أو جيوش جرارة. وعلى نسق سياسة

بسمارك ولكن بأسلوب آخر تمكن ليوبولد الثاني ملك بلجيكا من إيجاد مركز اقتصادي قوي لنفسه في الكونغو، بعد أن كلف المستكشف "ستانلي" بعقد معاهدات . أهالي البلاد لإنشاء دولة الكونغو الجديدة (١٨٧٨ – ١٨٨٤م) وعلى الرغم من الطابع التجاري .

استمرت الإمبريالية في النصف الأول من القرن العشرين تحميها معاهدات التحالف والتكتلات، غير أن الأزمات التي أفرزتها الأحقاد المتبادلة بين الدول الإمبريالية أنت في النهاية إلى اشتعال حرب عالمية استمرت من ١٩١٤ ١٩١٨ جرت إليها قوى عديدة لم تشارك في أصول الحرب، لكنها اشتركت بفضل سياسة التحالفات، واستمرت الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى ممثلة في نظام الانتداب، الذي أقرته عصبة الأمم وما لبث العالم أن انجرف إلى حرب عالمية ثانية في الفترة من ١٩٣٩ – ١٩٤٥م والتي قلبت موازين القوى في العالم تماماً، واستمرت الإمبريالية بشكل محدود ممثلا في نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة. ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الحركات الاستقلالية في دول العالم الثالث، ونجحت هذه الدول في الحصول على استقلالها، ساعدها على ذلك انتشار عدوى الروح القومية فيما بينها من ناحية والوعود التي حصلت عليها من الدول الاستعمارية بالاستقلال إبان الحرب العالمية من ناحية ثانية، ولعل أهم العوامل التي ساعدتها للحصول على استقلالها ما أسفرت عنه الحربين من تدمير مقدرات الدول الاستعمارية وإنهاك قواها وانتقال مراكز القوى إلى عواصم جديدة، بدأت صراعاً جديدا باردا فيما بينها، أبعدها مؤقتاً عن تبني سياسة استعمارية عسكرية مباشرة.

المعاهدات فقد أبدت فرنسا والبرتغال خشيتهما، الأمر الذي أدى إلى عقد مؤتمر برلين في الفترة من أكتوبر ١٨٨٤ إلى فبراير ١٨٨٥ الذي أقر المصالح البلجيكية في دولة مع الكونغو الحرة.

استمرت الإمبريالية في النصف الأول من القرن العشرين تحميها معاهدات التحالف والتكتلات، غير أن الأزمات التي أفرزتها الأحقاد المتبادلة بين الدول الإمبريالية أنت في النهاية إلى اشتعال حرب عالمية استمرت من ١٩١٤ ١٩١٨ جرت إليها قوى عديدة لم تشارك في أصول الحرب، لكنها اشتركت بفضل سياسة التحالفات، واستمرت الإمبريالية بعد الحرب العالمية الأولى ممثلة في نظام الانتداب، الذي أقرته عصبة الأمم وما لبث العالم أن انجرف إلى حرب عالمية ثانية في الفترة من ١٩٣٩ – ١٩٤٥م والتي قلبت موازين القوى في العالم تماماً، واستمرت الإمبريالية بشكل محدود ممثلا في نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة. ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الحركات الاستقلالية في دول العالم الثالث، ونجحت هذه الدول في الحصول على استقلالها، ساعدها على ذلك انتشار عدوى الروح القومية فيما بينها من ناحية والوعود التي حصلت عليها من الدول الاستعمارية بالاستقلال إبان الحرب العالمية من ناحية ثانية، ولعل أهم العوامل التي ساعدتها للحصول على استقلالها ما أسفرت عنه الحربين من تدمير مقدرات الدول الاستعمارية وإنهاك قواها وانتقال مراكز القوى إلى عواصم جديدة، بدأت صراعاً جديدا باردا فيما بينها، أبعدها مؤقتاً عن تبني سياسة استعمارية عسكرية مباشرة.

الفصل الأول

أوروبا والتحالفات العسكرية

- بسمارك ونظام التحالفات.
- الموقف الدولي في أوروبا بعد حرب السبعين.
- المسألة الشرقية.
- التحالفات الأوروبية ومعاهدات الضمان (١٨٧٩ – ١٨٩٠) .
- التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك.

كان نمو القومية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر فرصة حقيقية لنمو النزعة إلى الحرب مع بداية القرن العشرين، وذلك بعدما اكتمل تحقيق الوحدة القومية لمجموعة من الدول الأوروبية، وعلى رأسهم ألمانيا وإيطاليا، والنزعة إلى الحرب جعلت الدول الأوروبية تخشى من بعضها البعض، فكانت النتيجة لذلك تكوين الأحلاف العسكرية، والتي وجدت فيها الدول الأوروبية تأمينا لحدودها، بل وفرصة لتحقيق أطماعها، فكانت الأزمات الدولية التي خلفتها الدول الأوروبية رغبة في جني المكاسب من ورائها.

أولا : بسمارك ونظام التحالفات (١٨٧١ – ١٨٩٠) .

١- الموقف الدولي في أوروبا بعد حرب السبعين :

كان عام ١٨٧٠ سنة مهمة في تاريخ العالم وفي توجيه سياسة الدول الكبرى وجهة جديدة . لقد انهارت فرنسا كأولى دول القارة من الناحية الحربية ، وحلت محلها الدولة الألمانية الجديدة التي قامت بصفة خاصة على يد بسمارك وعلى تفوق الجيش الألماني وعلى زعامة بروسيا ؛ ونتيجة لذلك ، أخذت الدول الأوروبية المختلفة تعمل على التقرب من هذه الدولة الجديدة المتفوقة . أصبحت الدولة الألمانية الجديدة بمواردها الاقتصادية الغنية ، وبحماستها الوطنية ، أقوى دولة في أوروبا من الناحية الحربية ، ولكن بسمارك كان يعلم بأن فرنسا كدولة قوية لم تنته بعد ، فلا زالت لها حيويتها الكبيرة ونشاطها وأملها في المستقبل ، خاصة وأن الدول الأوروبية لم تكن لترضى مطلقا القضاء عليها تماما. وكان بسمارك يعلم ، كذلك ، أن ألمانيا مهما بلغت قوتها الحربية ومواردها الاقتصادية ، فهي ما برحت دولة حديثة التكوين ، لم تصبح جزءا من النظام الدولي الأوروبي إلا في عام ١٨٧٠ . وهكذا أيقن يسمارك أن الألمان بانتصارهم الحاسم على الفرنسيين قد أثاروا بقية الدول الأوروبية الكبرى وأحقادها .

لقد أفاقت انجلترا من حيادها الطويل ومن سياسة العزلة التي اتبعها جلادستون (Gladstone) لتجد أن قوة حليفتها القديمة فرنسا قد تحطمت ، وأن دولة أعظم نشاطا وهي ألمانيا قد سيطرت على هذه الدولة الجديدة . وأخذت تفكر في مصير أسواقها الأوروبية إذا تمكنت تلك القوة الناهضة من السيطرة على وسط أوروبا اقتصاديا ، كما سيطرت عليه إلى حد ما سياسيا . ولذلك يتغير موقف انجلترا عندما تولى ديزريلى (Bengamin Disraeli) زعيم المحافظين الوزارة في عام ١٨٧٤ ، الذي كان يتوثب إلى اتباع سياسة خارجية نشيطة تخرج انجلترا من عزلتها ونعود بها إلى مركزها الممتاز في أوروبا والعالم ، ولذا سيكون بسمارك حريصا على استرضاء انجلترا في عهدها الجديد لكي توافق على النظام الجديد الذي أوجده.

أما إمبراطورية النمسا والمجر فكانت تحسب حسابا حقيقيا للدولة الألمانية الجديدة التي تجاورها من الشمال . فكان يوجد في النمسا عدد كبير من الجيش الألماني يقطن في أوستريا (Austria) ويتطلع الجزء الأكبر منه للإنضمام إلى ألمانيا ، وبذلك تحقق الوحدة الألمانية الحقيقية وبجانب هذا الفريق ، وجد فريق آخر كان متشبعا بحب آل الهابسبرج ، وله مصالح إقطاعية ومعنوية تربطه بذلك البيت العتيق ، ثم إن انفصال الجزء الألماني عن جسم إمبراطورية النمسا والمجر كان معناه زوال إمبراطورية الهابسبرج لأنها تعتمد في ثروتها ونفوذها على الجزء الألماني الصرف من أراضيها ، وهو الجزء الصناعي . ولم ينس هذا الفريق بسهولة الهزيمة المرة التي تلقتها النمسا على يد ألمانيا في سادوقا ، ولذلك عمل جاهدا على إيجاد تحالف بين النمسا وأعداء ألمانيا مثل فرنسا وعلى فصم العلاقة القوية بين روسيا وألمانيا . غير أنه وجد فريق آخر وهو الفريق المجرى الذي كان يتزعمه الكونت أندراشي (Count Gyula Andrassy) . وزير خارجية النمسا ، كان هذا الفريق يريد السيطرة على الفريق الألماني السابق ، ووسيلته الوحيدة في تحقيق ذلك هي

توثيق الصله بينه وبين ألمانيا حتى لا يتفوق فيها العنصر الصقلبي وعلى العموم كان موقف النمسا يتسم بالتردد والحذر والخوف ، غير أن بسمارك كان يفهم الموقف في النمسا جيدا ، فأخذ يعمل على استرضائها « فهي الحليف الذي يعده للمستقبل.

أما روسيا فكانت تربطها صداقة قديمة مع بروسيا منذ حرب القرم ، كما كانت هناك علاقات شخصية وعائلية بين الأسرتين الحاكمتين : أسرتى رومانوف وهوهنزلرن . وبسبب هذه الصلة المتينة ، وقفت روسيا موقف الحياد والعطف على الهوهنزلرن في حربهم مع النمسا ومع فرنسا . وإذا كانت روسيا قد اتخذت هذا الموقف انتقاما لنفسها من النمسا وفرنسا ، فإنها كانت تشعر بأنها أدت خدمة جليلة لبسمارك ولذلك فهي تنتظر المكافأة من ألمانيا ، ولكن بسمارك كان يعرف تماما بأن روسيا تعمل لمصلحتها قبل كل شئ . غير أن روسيا أفاقتكان عام ١٨٧٠ لتجد على حدودها الغربية أقوى دولة حربية في أوروبا ، وأدركت أنه ربما ، من مصلحتها ألا تترك فرنسا تنهار أمام ألمانيا بهذا الشكل . ولذلك وقفت روسيا موقف الحاسد المترقب لآية فرصة تمكنها من الحد من قوة ألمانيا وكان بسمارك يفهم موقف روسيا تماماً ، ورأى من الحكمة استصلاحها وضمها إلى جانبه والإبقاء على صداقتها بقدر المستطاع .

حاول بسمارك ، إذن ، عزل فرنسا وإبعادها عن أصدقائها وهما الروسيا والنمسا ، ولذلك أسرع بالتفاهم معهما . ففى عام ١٨٧٢ دعا بسمارك كل من إمبراطور النمسا وقيصر الروسيا إلى برلين حيث اجتمعا بالإمبراطور الألماني وليم الأول ، واتفق الأباطرة الثلاثة شفويا على المحافظة على الوضع الراهن في أوروبا ، ومقاومة الحركات الثورية التي تهدد أنظمة الحكم القائم في هذه الدول . وازدادت العلاقات بين الأباطرة الثلاثة توثقا عندما زار بسمارك روسيا في العام التالي بصحبة الإمبراطور الألماني ، وأمكن التوصل إلى عقد إتفاقية عسكرية سرية بين ألمانيا

وروسيا ، وعدت ألمانيا بموجبها إرسال ٢٠٠،٠٠٠ جندى إلى روسيا فيما إذا اعتدت على الأخيرة دولة أوروبية ، على أن تقدم روسيا نفس المساعدة إلى ألمانيا إذا وقع عليها إعتداء . وفي يونيو من نفس العام زار القيصر الروسي فينا حيث وقع الجانبان الروسي و النمسوى إتفاقية تقضي بإجراء مشاورات في كل مسألة تتعارض فيها مصالح الدولتين ، وكذلك وعد كل منهما الآخر بالتفاهم حول توحيد الخطط في حالة اعتداء عسكري عليهما دون ما حاجة إلى إتفاق عسكري جديد . وبعد إنضمام الإمبراطور الألماني إلى هذا الإتفاق تكون تخالف (أو عصبة) القياصرة الثلاثة (Dreikaiserbund) في عام ١٨٧٣.

وعلى آية حال ، فلقد اقتنع بسمارك أن الوسيلة المناسبة لاقناع الدول الأوروبية الكبرى بالاعتراف بمركز ألمانيا الجديد في أوروبا ، هو استصلاح تلك الدول كان بسمارك محتاجا إلى السلام لكى يتفرغ لمعالجة المشاكل الداخلية الخطيرة التي واجهته ، ولتدعيم الوحدة التي تمت في ميدان الحرب . ولكن فرنسا كانت تقف وراء الحدود متعطشة للإنتقام إذا سنحت لها الفرصة المناسبة ، فلقد تخلصت سريعا من نتائج أخطاء الماضي ، ودفعت الغرامة الحربية بسرعة أثارت إعجاب العالم بقدر ما أزعجت بسمارك . ووجد بسمارك في سقوط تيير ، ذلك الجمهورى المحافظ ، وفي إعتلاء مكماهون الكاثوليكي الملكي ورجل الحرب ، مدعاة لإثارة مخاوفه لأنه كان يعرف جيدا أن فرنسا في ظل حكم الأحزاب اليمينية ستكون أكثر تفاهما مع روسيا ومع البابوية .

وهذا ما سعى بسمارك إلى تجنبه لعزل فرنسا عن القوى الأوروبية المناهضة له ولسياسته . كذلك كان بسمارك متضجرا من رغبة فرنسا في الثأر ، ومن « حركة الانتقام » التي كانت ترمي إلى الإنتقام من ألمانيا واسترداد الالزاس واللورين ، ولهذه الأسباب اضطر بسمارك دائما إلى إتباع سياسة تهديد فرنسا وتحذيرها وإنذارها حتى

لا تفكر في إثارة حرب جديدة ربما أدت إلى تدخل الدول الأوروبية والإطاحة بما لألمانيا من مركز متفوق . وبلغت الأزمة بين فرنسا وألمانيا حداً هددت بالحرب بين الدولتين في عام ١٨٧٥ ، وعندئذ اضطر ديكاز (Decazes) ، وزير خارجية فرنسا ، إلى الاستنجاد بانجلترا وروسيا موضحاً لهما أن فرنسا لا تريد الحرب وأن ألمانيا تعد حربا تقضى فيها على فرنسا تماما . وكانت كل من الدولتين تؤيدان فرنسا ، فالإبقاء عليها كقوة دولية ضروري لحفظ التوازن الأوروبي، وتدخلت الدولتان بسرعة لمنع تدهور الموقف ، وأرسل كل من قيصر الروسيا وملكة انجلترا خطابا للإمبراطور الألماني يدعوانه فيهما إلى ضرورة الحفاظ على السلام . وكان لهذا التدخل أثره على سياسة بسمارك إزاء فرنسا فلقد غير بسمارك سياسة التهديد والوعيد التي اتبعها مع فرنسا ، لإنها لم تعد في عزلة سياسية كما كان يعتقد ، بل أن دولتين من دول أوروبا الكبرى تعطفان عليها ولا تسمحان بإبعادها أو القضاء عليها . وتأكد بسمارك الآن أهمية استصلاح انجلترا وروسيا ، ورأى ضرورة استخدامهما حتى تتمكن ألمانيا من المحافظة على تفوقها في أوروبا .

ووجد بسمارك في ممتلكات الدولة العثمانية ما يحقق تنفيذ سياسة التعويض Compensation ، وألمانيا ليست كالروسيا أو النمسا لها أطماع في الدولة العثمانية تحاول الوصول إليها بمختلف السبل ، فهي عازفة عزوفا تاما عنها ، كما أنها لا تساوى عند بسمارك دم جندي بروسي . غير أنها في نظره تمثل الوليمة التي ستدعى إليها الدول الكبرى لاشباع رغباتهم ونزواتهم ، وهو لذلك رحب بأن توجه هاتان الدولتان جهودهما نحو تقسيم البلقان لينشغلا بعض الشئ عن مناصبة ألمانيا العداء أو العمل على الاتفاق مع فرنسا . وعلى هذا الأساس قامت النظرية الألمانية أو سياسة « التعويض » على الأسس التالية :

١- تستطيع حكومة القيصر الروسي الإشراف على شرقي البلقان

2- تستطيع إمبراطورية النمسا والمجر الإشراف على غربي البلقان في المناطق الغربية من حدودها الدلماشية والكرواتية.

٣- تستطيع انجلترا إرضاء مطامعها والمحافظة على التوازن الدولي في شرقي البحر المتوسط بالسيطرة على مصر ، وكان بسمارك يعلم تماما مدى اهتمام انجلترا.

٤- بمصر وخصوصا بعد تطور سياستها الهندية وإشراف الحكومة البريطانية نفسها على الهند منذ عام ١٨٥٨ ، بعد أن كانت شركة الهند الشرقية هي المشرفة عليها ، وقد تزايد اهتمام انجلترا بمصر منذ إفتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ التي ستصبح في نظرها الشريان الحيوى لإمبراطوريتها .

تستطيع فرنسا إذا أحسنت سلوكها نحو ألمانيا وتناست مسألة استرجاع الألزاس واللورين أن تستعيض عن الولايتين المفقودتين بأخذ سوريا أو تونس . وهكذا عمل بسمارك على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية لإرضاء الدول الكبرى ولحفظ السلام في أوروبا ، وبالتالي المحافظة على الوضع الدولي المتفوق لألمانيا في أوروبا . وهكذا رأى بسمارك ضرورة استخدام سياسة استصلاح الدول الكبرى ، وهي السياسة التي سيقوم عليها مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، والسياسة التي ستطبق خلاله وفي السنوات التي تليه . وفي الواقع كانت الظروف مواتية لبسمارك بسبب قيام الثورة في البلقان على الحكم العثماني وظهور المسألة الشرقية من جديد ، وعودة فكرة الإبقاء أو عدم الإبقاء على ممتلكات الدولة العثمانية .

(٢) المسألة الشرقية (١٨٧٦-١٨٧٨) وسياسة الاستصلاح :

ثارت المسألة الشرقية في عام ١٨٧٥ وبدأت الاضطرابات في البلقان بثورة البوسنة والهرسك ضد الحكم العثماني . وكانت روسيا تؤيد تلك الثورة ، ولكن ألمانيا كانت تفضل سياسة التعاون مع غيرها من الدول لحل هذا النزاع سلميا ، لأن قيام

حرب تشترك فيها الدول الأوروبية قد يجر ألمانيا إلى الاشتراك فيها . ولهذا أيدت ألمانيا فكرة روسيا في أن تتدخل دول إتحاد القياصرة الثلاثة (ألمانيا والنمسا وروسيا) لدى الدولة العثمانية للضغط عليها لاتباع سياسة تهدف إلى القضاء على أسباب الثورة. ولكن هذا الموقف لم يرض انجلترا وفرنسا ، لأنه يحول بينهما وبين الإسهام في حل المسألة الشرقية التي كانت تعتبر من أهم المشاكل الأوربية في ذلك الوقت . كما أنه يمنح روسيا حرية العمل على تحقيق أطماعها في ممتلكات الدولة العثمانية وهو ما يتعارض مع سياسة كل من الدولتين. واضطر الباب العالي أمام تدخل الدول إلى إصدار فرمان في ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥ يتضمن بعض الاصلاحات لتحسين أحوال سكان هاتين الولايتين.

ولكن الثورة لن تنقطع بصدور هذا الفرمان ، فاستمرت الثورة في البوسنة والهرسك واستعد الجبل الأسود والصرب لمساعدتهما . ولهذا اجتمع بسمارك وجورتشاكوف(Gortchakoff) , وزير خارجية روسيا ، والكونت أندراشي ،وزير خارجية النمسا ، في برلين في مايو عام ١٨٧٦ دون اشتراك انجلترا ، وتقدموا إلى الحكومة العثمانية بمقترحات من وحي الروسيا تضمنتها ما أطلق عليه إسم مذكرة برلين (Berlin Memorandum) بعد موافقة الحكومتين الإيطالية والفرنسية عليها وقد طلبت هذه المذكرة من الحكومة العثمانية إيقاف العمليات العسكرية لمدة شهرين ، والدخول مباشرة في مفاوضات مع رؤساء الثوار في البوسنة والهرسك بخصوص المطالب التي تقدموا بها ولكن الحكومة العثمانية رفضت المذكرة وشجعها على ذلك عدم اشتراك انجلترا في توقيعها ، هذا بالإضافة إلى ما تضمنته من مساس لحقوق الشرعية للدولة العثمانية.

وازدادت الحالة سوءاً في البلقان بقيام الثورة في بلغاريا ، إذ قام أهل البلاد بتدبير مذبحة للموظفين المحليين من العثمانيين ، ورأى العثمانيون في تلك الثورة

أصابع الروس واضحة تنذر بتفويض الحكم العثماني في أوروبا . وتلا قيام الثورة في بلغاريا إعلان الصرب والجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية وبإعلان الحرب تمت الحلقة الأولى من المخطط الروسي ، الذي كانت روسيا تعمل جاهدة على تحقيقه ، وذلك بأن تتاح لها فرصة التدخل للقضاء على الدولة العثمانية . ولكي لا تعرقل النمسا تنفيذ هذا المخطط ، عقدت معها في ٨ يوليو عام ١٨٧٦ اتفاقية رشتشتادت (Reichstadt) وفيها اتفق الطرفان على مبدأ عدم ا التدخل ، فإذا انتصر العثمانيون على الصرب وجب التدخل لمنع العثمانيين من الانتقام وحرمانهم ثمرة النصر ، وإذا انتصرت الصرب تتدخل الدولتان فتأخذ الروسيا بسارابيا من رومانيا وتحتل النمسا البوسنة والهرسك ، وفي حالة انهيار الدولة الأستانة مدينة حرة ؛ وعلى أساس هذه التسوية أمنت الروسيا جانب النمسا وأمنت النمسا جانب الروسيا العثمانية.

وعندما فشلت الصرب في الحرب فشلا ذريعا ، اضطرت روسيا للتدخل الفعلى مناصرة لفكرة الجامعة الصقلبية واضطرت روسيا للتدخل عندما أصبحت بلغراد نفسها عاصمة الصرب في خطر . ولذا أسرعت روسيا باقتراح هدنة وعقد مؤتمر من الدول ، ولكن العثمانيين المنتصرين رفضوا الهدنة قبل أن تقدم الصرب شروط صلح يرضونها . وكانت روسيا ترغب في مدة هدنة طويلة حتى تستطيع الصرب لم شعث قواها ، بينما كانت الدول الأخرى ترغب في هدنة قصيرة ، واختلفت الآراء بين الدول ووجد المستشار الألماني بسمارك في هذا الموقف فرصته في التدخل لتنفيذ سياسته التي طالما أعلنها من قبل ، وهي عدم حل المسألة الشرقية بشكل جزئي ، وإنما تطرح المسألة برمتها على بساط البحث . وحرص بسمارك على توجيه نظر انجلترا إلى استغلال فرصة هياج المسألة الشرقية لأخذ ، وقال بأنه إذا استشير فيما يجب أن تكون عليه سياسة انجلترا الخارجية ، فإنه يقترح بريطانيا

نفس السنن التي تنتهجها روسيا ، فإذا كانت روسيا تريد أن تستحوذ على النقط الاستراتيجية اللازمة لها بالسيطرة على المضايق ، البوسفور والدردنيل ، والإشراف على الآستانة ، فعلى الحكومة الإنجليزية أن ، تقابل ذلك بالسيطرة على مصر وقناة السويس » . وكان هذا الحل خيرا في نظره من معارضة انجلترا لروسيا في البلقان وقيام حرب بينهما قد تتحول إلى حرب أوروبية , ربما تعصف بما لألمانيا من مركز متفوق ، ولقد قال بسمارك في هذا الصدد » أنه من الخير لانجلترا أن تأخذ قناة السويس والإسكندرية بدلا من أن تعلن الحرب على روسيا ، وبذلك وحده تتوثق عرى السلم في أوروبا » . ولكن حكومة المحافظين في انجلترا لم تقبل هذا الاقتراح بسهولة ، فرئيسها دزريلى ، رغم أنه هو الذي اشترى أسهم الخديو إسماعيل في قناة السويس عام ١٨٧٥ ، ورغم تعلقه الكبير بالشرق ، ورغم أنه زار مصر فبهره جمالها وأبهتها وسحرته حضارتها القديمة وضخامة آثارها وبهاء نيلها وكثرة خيراتها ، « إلا أنه لم ير في ذلك الوقت أن احتلال انجلترا لمصر وسيلة مفيدة لدرء الخطر الروسي عن الشرق الأدنى فقال إذا أخذ الروس الأستانة ، فإنه يمكنهم في أي وقت الوصول إلى سورية ووادى النيل .

ويبدو في عام ١٨٧٧ كانت تخشى عواقب اتباع سياسة بسمارك ؛ وفي الواقع كانت سياسة انجلترا قبل السبعينات من القرن التاسع عشر هي سياسة المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية وعلى تماسك ممتلكاتها ، وهي السياسة التي وضع أسسها اللورد بامستون ، وزير خارجية انجلترا خلال النصف الأول من هذا القرن . ولكن حملات جلادستون التي قامت في انجلترا بعد حركة القمع التي قام بها العثمانيون في بلغاريا ، كانت من أهم العوامل التي أطاحت بسياسة انجلترا التقليدية إزاء الدولة العثمانية ، تزعم جلادستون زعيم | المعارضة من الأحرار الحركة التي ترمي إلى التخلص من هذه السياسة القديمة ، وكتب عدة مقالات أهمها

" The Bulgarian Horrors " ، التي وصف فيها الأتراك بأبشع ما توصف به أمة من الأمم ، واتهمهم بأنهم أعداء الإنسانية كان لهذا الموقف أثر كبير على الرأى العام الإنجليزي فلم يعد هناك من نصير قوى للدولة العثمانية خصوصا بعد أن أعلنت الحكومة العثمانية عجزها عن دفع فوائد الديون التي اقترضتها من انجلترا ، فازداد السخط في الدوائر المالية عليها، وشعرت حكومة المحافظين في انجلترا بأنه لم يعد في استطاعتها الدفاع عن سياسة انجلترا التقليدية إزاء الدولة العثمانية ، ولكن موقف انجلترا نحو روسيا وأطماعها لم يتغير ، فلا زالت حريصة على وقف التوسع الروسي نحو البحر المتوسط ، وعندما يتولى اللورد سولزبرى Salisbury منصب وزير الخارجية في أوائل صيف عام ١٨٧٨ ، ستتخذ انجلترا موقفا حاسما إزاء كل من روسيا والدولة العثمانية ؛ فكان سولزبرى يمقت الدولة العثمانية مقتا شديداً ، ويعتقد أن الأتراك لا يصلحون للبقاء كدولة حديثة « فأفكارهم في نظره غير معقولة ، وحكومتهم فوضى » .

لقد أدرك سولزبرى أن وجود الدولة العثمانية الضعيفة، شأنه أن يعرض مصالح بريطانيا الإمبراطورية للخطر ، ولذلك قرر استبعاد الدولة العثمانية من شرق أوروبا وتقسيم ممتلكاتها ، وهكذا وضع سولزبرى حداً نهائيا للسياسة الإنجليزية التقليدية نحو الدولة العثمانية من الناحيتين العملية والنظرية .

وبدأت تظهر أطماع انجلترا في ضم جزء من ممتلكات الدولة العثمانية مثل مصر أوكريت أو قبرص . وفي حقيقة الأمر كانت نفس انجلترا تهفو إلى احتلال مصر ، وطالما شجعها بسمارك على ذلك منذ عام ١٨٧٥ ولكنها خشيت الاقدام على هذه الخطوة حتى لا تسئ إلى علاقاتها مع فرنسا، ولذا اتجه نظر انجلترا إلى جزيرتى كريت وقبرص ، ولكن سولزبرى ورجال الحرب فضلوا احتلال قبرص لها من موقع ممتاز في البحر المتوسط ، فهي « مفتاح آسيا » وجبل طارق جديد ؛ ومما

رجح قبرص على غيرها إشرافها على السواحل المصرية الشمالية ، وقربها من ممتلكات الدولة العثمانية الآسيوية حيث تتركز أطماع روسيا .

وبدأت المفاوضات السرية بين الدولة العثمانية وانجلترا ، واختارت انجلترا توقيتا مناسبا للدخول في تلك المفاوضات ، وهو الوقت الذي استعرت فيه الحرب بين روسيا والدولة العثمانية ، واندحرت قوات الأخيرة أمام ضربات روسيا . وأمام التهديد الانجليزي بالقضاء على الإمبراطورية العثمانية ، اضطر السلطان إلى توقيع اتفاقية ٢٦ مايو عام ١٨٧٨ ، التي قبلت الدولة العثمانية بمقتضاها احتلال الانجليز لجزيرة قبرص مقابل حماية انجلترا للدولة ، وعلى هذا النحو نفذت انجلترا من الناحية العملية فكرتها لنظرية تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، ومغادرة السياسة التقليدية نهائيا . أما عن الموقف في البلقان ، فقد كانت روسيا تستعد للحرب ، ودخلت في مفاوضات مع النمسا انتهت في ١٥ يناير بتوقيع اتفاقية بودابست السرية (Budapest Convention) ، وتنص على وقوف النمسا على الحياد في حالة قيام حرب بين الدولة العثمانية وروسيا بشرط أن توافق روسيا على احتلال النمسا للبوسنة والهرسك في معاهدة الصلح .

وفي ٢٤ أبريل عام ١٨٧٧ أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية وأقدمت على ذلك لاعتقادها أن انجلترا لن تستطيع التدخل هذه المرة لتأييد الدولة العثمانية ، فالرأى العام الإنجليزي كان قد انصرف كلية عن السياسة التقليدية القديمة، وكانت خطة روسيا عند دخولها الحرب الإسراع بعبور الدانوب ، ومهاجمة القوات العثمانية ثم اختراق جبال البلقان ومهاجمة القسطنطينية نفسها ، وبذا تضع حدا لمسألة الدولة العثمانية ، كما تضع الدول أمام الأمر الواقع . ودعا انتصار الروس إلى التفكير في شروط الصلح التي تفرض على الدولة العثمانية ، ولكن عندما بدا الخطر واضحا على الاستانة والمضايق ، أرسلت انجلترا ببعض قطع من

أسطولها إلى البحر المتوسط للوقوف على مقربة من الدردنيل وأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين روسيا وانجلترا ، ودخلت ألمانيا للتوفيق بين الدولتين .

وفي تلك الأثناء فرضت روسيا في ٣ مارس عام ١٨٧٨ معاهدة سان استفانو على الدولة العثمانية ، ونصت تلك المعاهدة على اعتراف الدولة العثمانية بحرية الملاحة في المضايق ، وتعهدها بإغلاق البحر الأسود في وجه الدول المعادية لروسيا في وقت الحرب . كذلك نصت على استقلال رومانيا بصفة نهائية عن الدولة العثمانية مع منحها جزءاً من دلتا نهر الدانوب . أما بلغاريا فتضم إليها إقليم دبروجة وبذلك تتسع رقعتها ، وتصبح ولاية كبيرة تتمتع بالاستقلال الذاتي مع الاعتراف بالسيادة الإسمية للباب العالي ، وإلى أن تصبح تلك الولاية قادرة على حماية نفسها تقرم القوات الروسية باحتلالها ؛ كذلك تلحق أجزاء من الهرسك بالجبل الأسود . أما بخصوص روسيا فتضم إليها إقليم بسارابيا وأردهان وقارص وباطوم وجزء من أرمينية ، هذا بالإضافة إلى غرامة حربية فرضتها على الدولة العثمانية قدرها ٢٣٥ مليون جنيه.

هاجمت انجلترا والنمسا تلك المعاهدة لأنها منحت روسيا امتيازات واسعة في البلقان ، إلى جانب سيطرتها على المضايق والملاحة في البحر الأسود . فرأت انجلترا أن روسيا حصلت بمقتضى المعاهدة على مركز متفوق في شرقي البحر المتوسط يهدد مصالح انجلترا وسلامة مواصلاتها إلى الهند وجنوب شرقي آسيا ، أما النمسا فلم تحصل على نصيب من الغنيمة ، وكانت تطمع في زيادة نفوذها في غربي البلقان . وهنا اتجهت الأنظار إلى ألمانيا وانتقل مركز الثقل السياسي إلى برلين ، وتدخل بسمارك لإنقاذ السلام الأوروبي فتوسط بين النمسا وروسيا ، ووافقت الأخيرة على الاعتراف بحق النمسا في البوسنة والهرسك . وبذلك تحقق النمسا السيطرة على غربي البلقان مقابل سيطرة الروس على شرقيه ، وتعادل بالتالي نفوذ

الدولتين في البلقان . أما في انجلترا فقد جرت مفاوضات بين سولزبرى وشوفالوف Shuvalov ، السفير الروسي في لندن ، وأوضحت انجلترا أنها تعارض معاهدة سان استفانو لسببين أولهما أن المعاهدة أوجدت دولة بحرية جديدة هي بلغاريا مما أخل بالتوازن بين دويلات البلقان ؛ وثانيهما ، أنها وضعت الباب العالى تحت رحمة روسيا .

ولم تمانع روسيا في تعديل بنود معاهدة سان استفانو بما يتمشى مع مقترحات انجلترا ، ولكن انجلترا كانت قد وقعت في تلك الأثناء المعاهدة الدفاعية مع الدولة العثمانية التي احتلت بمقتضاها قبرص ولما كانت هذه المعاهدة سرية ، فلم تعلم بها روسيا والدول الأوروبية الأخرى . وبذلك ضمنت انجلترا سلامة ممتلكات الدولة العثمانية الأسيوية وسلامة مصالحها الإمبراطورية واتفقت الدول الأوروبية على ضرورة إعادة النظر في معاهدة سان استفانو في مؤتمر دولي عقد في برلين ، وكان انعقاد المؤتمر في برلين برئاسة بسمارك اعتراف من الدول الأوروبية بتفوق النفوذ الألماني . وفي الواقع لم يكن اجتماع الدول الأوروبية الكبرى لإعادة النظر في معاهدة سان استفانو بقدر ما كان للموافقة على الاتفاقات التي تمت بين روسيا والنمسا من ناحية ، وبين روسيا وانجلترا من ناحية أخرى . واجتمع المؤتمر في ١٣ يوليو عام ١٨٧٨ ، وثارت مناقشات عنيفة خلال الجلسات رغم أن كثيراً من المسائل قد سويت قبل عقد المؤتمر ، ولا سيما ما يتعلق ببلغاريا وباطوم . وعلى آية حال ، توصل المندوبون إلى الاتفاق فيما بينهم على بنود معاهدة برلين التي تكونت من أربع وستين مادة، ونصت على ما يلى :

١ . تصبح بلغاريا ولاية لها استقلال داخلي ، وتدفع الجزية وتدين بالولاء للسلطان العثماني ، وتكون لها حكومة مسيحية وقوة بوليس قومية . ٢ . فصل ولاية الروملي

الشرقية عن بلغاريا الكبرى ووضعها تحت الحكم العثماني المباشر ، وبذلك تكون بلغاريا قد تقلصت.

٣ . توضع البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمسوى على أن تظل الإدارة العثمانية في صنجق نوقى بازار .

٤ . يعترف الباب العالي والدول باستقلال الجبل الأسود .

هـ . اعتراف الدول باستقلال الصرب (بهذا وضع الأساس الذي ستقوم عليه دولة يوغوسلافيا الحديثة)

٦ . اعتراف الدول باستقلال رومانيا التي حصلت على إقليم دبروجة ولكن فقدت بسارابيا التي حصلت عليها روسيا .

٧ . تنازل الباب العالي لروسيا في آسيا عن أراضي اردهان وقارص وباطوم .

٨ . أعلن الباب العالى رغبته في منح حرية الاعتقاد الديني ، ولا يجب أن يقف الاعتقاد الديني عقبة في سبيل الحقوق السياسية والدينية وتعترف بحق القناصل في حماية رعاياهم .

وهكذا حاولت معاهدة برلين ١٨٧٨م التوفيق بين مصالح الدول الكبرى في البلقان ، ونفذت إلى حد كبير سياسة الاستصلاح والتعويض التي وضعها بسمارك بين روسيا وانجلترا والنمسا والمجر ، فقوى النفوذ الروسي في شرقي البلقان ، ونمى النفوذ النمسوي في غربة ، ورضيت انجلترا حين وضع حد لأطماع روسيا في الإشراف على القسطنطينية والمضايق ، وكذلك في تقسيم بلغاريا إلى قسمين أحدهما مستقل والآخر تحت حكم الدولة العثمانية . وبذلك قضت على أهداف روسيا في إنشاء الدولة البلغارية الكبرى التي تتمتع ب بتأييدها ولكن مع ذلك ، لم تستطع انجلترا القضاء كلية على أطماع روسيا ، فلقد أتاح لها الاستيلاء على القوقاز

وأزدهان وباطوم فرصة طيبة للتوسع في آسيا من ناحية ، وفي متاخمة حدود الدولة العثمانية واقترابها من آسيا الصغرى والعراق من ناحية أخرى . ولكن مما خفف على انجلترا ، استيلاؤها على جزيرة قبرص لإيجاد نوع من توازن القوى في شرقي البحر المتوسط أما ألمانيا فقد بدت أمام الدول الأوروبية الكبرى دولة منزهة عن الأطماع ، كل همها هو استصلاح دول أوروبا، وتحقيق السلام المنشود . ولكن خلال السنوات التي ستعقب مؤتمر برلين سيظهر التقارب الواضح بين ألمانيا والدولة العثمانية ، إذ سيعتبر العثمانيون أن ألمانيا رغم قسوتها كانت أكرم من غيرها من الدول فلم تقتطع شيئاً لنفسها في المؤتمر .

وترتب على معاهدة برلين بعض النتائج الهامة نذكر منها ما يلي :

١ . وضعت المعاهدة حدا لأطماع روسيا في تقدمها نحو الغرب ، ووجهتها

٢ . كان استيلاء انجلترا على قبرص مقدمة منطقية لاحتلال مصر في الوقت المناسب ، فجزيرة قبرص تواجه السواحل المصرية الشمالية ، وتمثل نقطة وثوب ومراقبة في مواجهتها ، وتمنح انجلترا موقعا استراتيجيا هاما تستطيع بطريق غير مباشر إلى التوسع في آسيا ، حيث بدأت تصطدم بقوى آسيوية وأوروبية مثل اليابان وانجلترا وفرنسا . الهيمنة على مصر ، ومنع أية دولة أوروبية من الاقتراب منها

٣- تزايد اهتمام العثمانيين وخاصة السلطان عبد الحميد الثاني بفكرة الجامعة الإسلامية ، وبالتقارب من ألمانيا لتستطيع الوقوف أمام مطامع الفرنسيين في تونس ، ومطامع الفرنسيين والإنجليز في مصر فاستقدمت الحكومة العثمانية بعثة حربية ألمانية لتنظيم الجيش العثماني ، وزاد النفوذ الألماني في ممتلكات الدولة العثمانية إلى حد أخذت تستغله المطامع الاستعمارية الألمانية الناشئة ، فحاولت ألمانيا وخاصة بعد سقوط بسمارك أن تعمل على تفوق نفوذها في آسيا الصغرى والجزيرة

العربية فوضعت مشروع سكة حديد بغداد لتربط بين برلين واستانبول وبغداد لتقاوم نفوذ انجلترا التجاري في الشرق الأوسط وأعلنت ألمانيا صداقتها للعثمانيين وتفوق نفوذها في البلاط العثماني ، الأمر الذي دعا إلى إثارة مخاوف انجلترا من الناحية السياسية والتجارية مما سيكون له أثر كبير في التقارب الإنجليزي الروسي وتقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ شمالية لروسيا ، وجنوبية لانجلترا ، ودعا تفوق الألمان في استانبول انجلترا إلى أن تفكر جديا في القضاء النهائي على الدولة العثمانية بتأييد الفريق الأكبر سكان الدولة العثمانية وهم العرب ، إذا وقفوا إلى جانب انجلترا .

٤ . كان أثر المعاهدة أيضا توجيه النشاط الاستعماري نحو القارتين الآسيوية والإفريقية ، وسينظم مؤتمر برلين الذي سيعقد في عام ١٨٨٤ هذا النشاط في المجال الإفريقي ، ووضع مبادئ عامة للاستعمار ، ونظم التسابق على مناطق النفوذ طبقا لقاعدة التراضي والتبادل . ووجهت فرنسا حملاتها إلى شواطئ أفريقيا الغربية من ناحية وإلى حوض النيجر من ناحية أخرى ، واستولت على ما عرف فيما بعد باسم غانا الفرنسية وعلى ساحل العاج وداهومي . كذلك اتسع نفوذها في منطقة النيجر الأعلى حتى بلغت بحيرة تشاد ، وأنشأت ما عرف باسم السودان الفرنسي .

وهكذا انقسمت مناطق النفوذ الأوروبي في أفريقيا الغربية إلى : المنطقة الفرنسية ، وقد ارتبطت بشمال أفريقيا بعد الاستيلاء على الصحراء ، وتشمل أفريقيا الغربية الفرنسية والكونغو الفرنسي وملحقاته وعرفت باسم أفريقيا الفرنسية الاستوائية ؛ ومنطقة النفوذ الإنجليزي وهي أوسع مدى وأعظم ثروة من المنطقة الفرنسية ، وتشمل جامبيا وسيراليون وساحل الذهب ونيجيريا ، ولا يحدها من الداخل سوى منطقة النفوذ الفرنسي . أما الكونغو البلجيكية فكانت من نصيب بلجيكا وكانت أرضها تفيض بالأخشاب الثمينة والمطاط والجلود والأورانيوم . وكان يتلو هذه المناطق في الأهمية والثروة منطقة النفوذ الألماني في توجو والكاميرون ، إلا أن هزيمة ألمانيا في الحرب

العالمية الأولى اضطرتها إلى التنازل بمقتضى معاهدة فرساي عن كل حقوقها وامتيازاتها فيما وراء البحار، وتطبيقا لنظام الانتداب الذي وضع عقب الحرب ، ندبت فرنسا وانجلترا لإدارة توجو والكاميرون . ولم يقتصر النفوذ الأوروبي على إفريقيا الغربية بل امتد كذلك إلى إفريقيا الجنوبية وإلى شرقي أفريقيا .

هـ . اتخذت فرنسا من استيلاء انجلترا على قبرص موضوعا للمساومة ، واعتبرت هذا العمل من قبل انجلترا إخلالا بالتوازن الدولي في شرقي البحر المتوسط ، ولم تهدأ ثائرة فرنسا إلا بعد أن أكدت لها انجلترا بأنها لن تغير شيئا في الموقف السياسي في منطقة الشرق الأدنى إلا بموافقتها . كما أبدت انجلترا موافقتها على مطامع فرنسا في تونس ، وتطلعاتها إلى المساواة في النفوذ مع

انجلترا في مصر.

٣ . التحالفات الأوروبية ومعاهدات الضمان (١٨٧٩ – ١٨٩٠) :

لم يؤد مؤتمر برلين (١٨٧٨) إلى إقرار الحالة في أوروبا ، كما لم تعمل معاهدةبرلين على حل الخلافات بين الدول الأوروبية الكبرى حلا حاسما ولقد خرجت روسيا من برلين غاضبة ، حقيقة أنها اقتطعت من الدولة العثمانية بعض أجزائها الأسيوية ، وفرضت عليها غرامة كبيرة ، وأحلت نفوذها في بلغاريا ، إلا أنها ستعمل هي والدولة العثمانية على عرقلة تنفيذ معاهدة برلين . ولقد شعر بذلك ساسة أوروبا منذ اللحظة الأولى وخصوصا في مسألة بلغاريا . كما أن روسيا كانت حانقة على ألمانيا لأنها لم تؤيد روسيا التأييد الكافي الذي انتظرته منها عرفانا بالجميل لروسيا . علاوة على ذلك ، لم تكن العلاقات الروسية – النمسوية جيدة ، إذ سيطر الشك المتبادل على العلاقات بين الدولتين ، كما أن أطماعها في البلقان كانت متنافسة ومتضاربة، وكانت النمسا تشكو دائما من دعاية روسيا الصقلبية وأدركت أن تقدم

روسيا في البلقان من الأمور الخطيرة على حياة الدولة النمسوية وأنه يجب عليها مقاومتها . وهكذا لم يكد مؤتمر برلين بدأت تظهر الصعوبات في تنفيذ قراراته . ولكن ، رغم ذلك ، ساد السلام في أوروبا فترة طويلة بفضل سياسة بسمارك القائمة على المحافظة على السلام وتفوق ألمانيا في أوروبا ينتهي حتى التحالف الثنائي بين ألمانيا والنمسا (١٨٧٩) .

ساء لروسيا قبل مؤتمر برلين وأثناؤه أن التأييد الألماني لم يكن قويا في جانبها ، بل أحست بأن بسمارك كان يعمل على الانتقاص من مر مركزها ، واستصلاح انجلترا على حسابها ومما أثار روسيا كذلك موقف بسمارك إزاء النمسا، إذ كانت تعمل على عرقلة نشاط الجامعة الصقلبية في البلقان ، ومساندة المعارضة ضد الروس في رومانيا . وكان بسمارك يعضد النمسا في هذه السياسة حتى يضمن إنشغالها نهائيا عن مسائل ألمانيا ، ولكي يجعل مسألة التحالف بين النمسا وروسيا أمرا مستحيلا . ففي عام ١٨٧٩ وافق بسمارك على احتلال النمسا لصنجق نوقى بازار ، ولم تستطع روسيا اخفاء غضبها لذلك فقامت بمناورات حربية في بولونيا على حدود ألمانيا . وعبر القيصر الروسي في خطاب إلى القيصر الألماني في أغسطس عام ١٤٧٩ وحذر القيصر الألماني من العواقب الوخيمة التي سوف تترتب على سياسة بسمارك .

أما بسمارك فلم يفكر قط في قطع علاقاته مع روسيا ، وكان يعمل دائما على المحافظة على العلاقات السلمية بين ألمانيا وروسيا . ولكن موقف روسيا أثار مخاوفه ، ورأى نتيجة لذلك ضرورة توطيد علاقته مع النمسا حتى ألمانيا في أوروبا ، واستفاد بسمارك من وجود عناصر مجرية لها نفوذ كبير في فينا. فالكونت أندراشي ، وزير خارجية النمسا ، كان قليل الثقة باتحاد القياصرة الثلاثة وأراد عقد تحالف ثنائي بين ألمانيا والنمسا ضد روسيا . ومما تجدر ملاحظته في هذا المجال أن روسيا قد

فاتحت هي الأخرى فرنسا وإيطاليا بخصوص عقد اتفاق فيما بينهما ، الأمر الذي حدا ببسمارك إلى الإسراع في عقد التحالف الثنائي مع النمسا ، ولقد اتخذ بسمارك من موقف روسيا ذريعة لكي يثبت للقيصر الألماني سوء نيات روسيا نحو ألمانيا . ولم تكن موافقة القيصر الألماني سهلة ، فلقد كان حريصا على صداقة زميله الروسي ولكن بسمارك بدأ حملته المدروسة لإظهار الخطر الروسي في ربيع عام ١٨٧٩ . وكانت أول إشارة إلى ذلك عدما نشر في ٤ فبراير اتفاقا مع النمسا والمجر تعفي ألمانيا بمقتضاء من اجراء استفتاء في شمال شازفيج ، وكان هذا تحديا للقيصر الروسي الذي طالب مرارا بوجوب إجراء الاستفعاء . واستطاع بسمارك في ١٧ أكتوبر عام ١٨٧٩ من توقيع معاهدة التحالف بين النمسا والمجر وألمانيا ، وكانت هذه المعاهدة أول خيط في شبكة التحالفات التي قدر لها أن سطى أوربا كلها ؛ وكانت المعاهدة عبارة عن حلف دفاعي بسيط ضد هجوم روسى هى ونصت على ما يلي : أولا : أن تبادر كل من الدولتين المتعاقدين (النمسا وألمانيا) إلى مساعدة الثانية بكامل قواتها إذا ما هاجمتها روسيا.

ثانياً : وفي حالة مهاجمة فرنسا وإيطاليا لإحدى الحليفتين فإن الحليفة الثانية تلتزم جانب الحياد الودي ، فإذا أيدت روسيا الدولة المهاجمة بادرت الدولة الحليفة الثانية المتعاقدة إلى مساعدة حليفتها بكامل قوتها .

وتعنى هذه المعاهدة الدفاعية السرية انه إذا هاجمت روسيا النمسا فإن ألمانيا تساعد الأخيرة ، وإذا هاجمت فرنسا ألمانيا فتقف النمسا على الحياد الودي ، أما إذا ساعدت روسيا فرنسا فإن النمسا تساعد ألمانيا . وكانت مدة المعاهدة خمس سنوات ، وحددت في عامي ١٨٨٣ و ١٩٠٢ واستمرت حتى عام ١٩١٨ عندما هزمت الدولتان في الحرب العالمية الأولى ولقد عملت تلك المعاهدة على تقوية السلم في

أوروبا لسنوات كثيرة ، كما ، أنها على وجه اليقين أيضا ، أدخلت ألمانيا وأوروبا كلها في الحرب العالمية الأولى.

اتحاد القياصرة الثلاثة (١٨٨١) :

ولكن روسيا وجدت في التحالف الألماني النمسوى خطرا جديدا موجها إليها ، وأخذت الصحف الروسية تندد بالسياسة الألمانية . ومما ساعد روسيا على تفادى موقف العداء العلني من ألمانيا العلاقة بين قيصري روسيا وألمانيا ، وأخبرالقيصر الألماني صديقه قيصر روسيا بأن هذه المعاهدة ليست إلا أداة دفاعية لضمان السلام في أوروبا ، ورأى القيصر أن من الخير قبول هذا التفسير بسبب المشاكل التي تعرض لها عرشه ، ولم يفكر في يوم من الأيام قطع علاقاته مع ألمانيا ، لأنها دولة ملكية تعمل على صيانة حقوق الملوك . ومن ناحية أخرى ، لم يكن بسمارك قد تخلى عن روسيا نهائيا ، بل كان يود تجديد عرى الصداقة معها على أن لا يضر ذلك حليفته النمسا ، وكان يعمل دائما على إعادة تدعيم اتحاد القياصرة الثلاثة.

وفى ٢٧ سبتمبر عام ١٨٧٩ ، وقبل التوقيع على التحالف الألماني – النمسوى ، عين سابوروف Saburov سفيراً لروسيا في برلين . وكان سابوروف يحتقر الميل إلى السلاف ويناصر السياسة الدفاعية القائمة على التحالف مع ألمانيا ، وكتب إلى القيصر الروسي يقول : « أن بروسيا الحميمة تضعنا في الموقف الممتاز لنكون القوة الوحيدة في أوروبا التي لا تخشى هجوما والتي يمكنها تقليل ميزانيتها دون ما مخاطرة كما فعل سيدنا أوغسطين بعد حرب القرم » . وفي يناير عام ١٨٨٠ ، عرض سابوروف رسميا على بسمارك إحياء اتحاد القياصرة الثلاثة ولما كان بسمارك بخشى انتقام فرنسا رحب بتلك المبادرة ، وبعد مفاوضات طويلة بين الجانبين استطاع بسمارك أن يقنع النمسا بالاشتراك في تحالف الأباطرة الثلاثة الذي وقع في ١٨ يونيو عام ١٨٨١ . وقد نص هذا التحالف على الشروط التالية :

أولا : في حالة اشتباك أحد الأطراف المتعاقدة السامية في حرب مع دولة عظمى رابعة ، يلتزم الطرفان المتعاقدان الآخران الحياد الودى . ومعنى هذا أنه إذا دخلت ألمانيا في حرب مع فرنسا فإن النمسا وروسيا تبقيان على الحياد ؛ وكذلك إذا دخلت النمسا في حرب مع إيطاليا ، أو روسيا مع انجلترا ، فإن كلا من ألمانيا وروسيا ، أو ألمانيا والنمسا تبقيان على الحياد) .

ثانيا : تحترم الدول المتعاقدة الثلاث حقوق النمسا في مقاطعتي البوسنة والهرسك كما نصت عليها معاهدة برلين ١٨٧٨ م .

ثالثاً : تسلم الدول الثلاث بمبدأ إغلاق المضايق (البوسفور والدردنيل) ، ويجب على الدولة العثمانية ألا تشذ هذه القاعدة لمصلحة دولة ما ، على الدول الثلاث أن تخبر الدولة العثمانية بأنها (أي الدولة العثمانية) في حرب مع الدولة التي تمسها للمحالفة فيما إذا أرادت الدولة العثمانية أن تسمح لدولة ما أن تستخدم المضايق في حالة الحرب ضد دولة أخرى عضوة في المحالفة ؛ (أي أن المضايق يجب أن تغلق في وجه كل الدول وإذا أرادت الدولة العثمانية فتح المضايق لانجلترا ضد روسيا ، فإن كلاً من ألمانيا والنمسا ، بالإضافة إلى روسيا ، تكون في حالة – ضد الدولة حرب العثمانية).

وهكذا نجح بسمارك في التوفيق بين مصالح روسيا والنمسا وقسم البلقان إلى منطقتى نفوذ : منطقة روسية في الشمال ، ومنطقة نمسوية في الجنوب . ولم تتشابه كثيرا العصبة الجديدة بعصبة عام ١٨٧٣ ، وكان ذلك آخر مظهر للمقاومة من جانب العناصر المحافظة في أوروبا . وكان اتحاد القياصرة الثلاثة نصرا للروس وربما لبسمارك أيضا ، فقد تحررت ألمانيا من اضطرارها للخيار بين الروسيا والنمسا والمجر في البلقان . وحصلت روسيا على الأمن في البحر الأسود في مقابل وعد باتباع السلوك السلمي الذي دفعها إليه ضعفها الداخلي لتحافظ عليه على آية حال .

ولقد أدى اتحاد القياصرة الثلاثة ، الذي كان حلفا للصداقة بطريقة غير مباشرة ، إلى التحالف الثلاثي الذي كان تخالفا ضدها بكل وضوح مع روسيا

التحالف الثلاثي (١٨٨٢) :

رمى بسمارك بشباكه لاقتناص حليف آخر ، وتمكن بدهائه المنقطع النظير من أن يجمع شمل النمسا وإيطاليا في صعيد واحد ، رغم ما كان بينهما من تضارب كبير في المصالح الحيوية وعلى العموم كانت الرابطة بين إيطاليا وأوروبا الوسطى أقدم الروابط في التاريخ الأوروبي . وكانت إيطاليا القومية أساسا لانتصار ألمانيا القومية. وكان التحالف الإيطالي حاسما في حرب عام ١٨٦٦ ، ولولا إيطاليا لاتحدت فرنسا والنمسا والمجر ضد بسمارك عام ١٨٧٠ . ولكن في مؤتمر برلين تجاهلت الدول الأوروبية مطالب إيطاليا وعوملت على نفس مستوى اليونان والدولة العثمانية وحصلت النمسا والمجر على البوسنة والهرسك ، وانجلترا حصلت على قبرص ، وشجعوا فرنسا على أخذ تونس ، وعاد مندوبو إيطاليا بمفردهم من المؤتمر وأياديهم نظيفة . ودعا ذلك الموقف إلى اتجاه نشاط إيطاليا إلى الشاطي الإفريقي المواجه لها، ونازعت إيطاليا كل خطوة أو مشروع فرنسي في تلك المناطق منازعة عنيفة وكانت فرنسا على يقين بأن ايطاليا تسعى إلى أن يكون لها مركز مساو لمركز فرنسا في تونس ، واحتدم النزاع بين الدولتين وادعت إيطاليا أن وجود فرنسا في تونس فيه تهديد خطير لإيطاليا ومستقبلها .

ولكن فرنسا عزمت على ألا تتواجد دولة أوروبية بجوار الجزائر ، ورأى الفرنسيون في النهاية سرعة التدخل الحربي في تونس ، وكان من أكبر العاملين على تنفيذ ذلك سان فالير ، سفير فرنسا في برلين، الذي بذل جهده لإقناع الحكومة الفرنسية بالتدخل قبل أن تقفز دولة أخرى فتحل محل الفرنسيين في هذه البلاد . فاحتلت قوة فرنسية البلاد ، وفي ١٢ مايو عام ١٨٨١ وقع الباي معاهدة باردو وقبل

الحماية الفرنسية صارت إيطاليا لا حول لها ولا قوة ، ونظرت إلى احتلال الفرنسيين لتونس كإذلال جديد لها . ووجدت ايطاليا أن كلا من انجلترا وفرنسا لا يأبه كثيراً للمصالح الإيطالية ، كما وجدت الملكية الإيطالية إزاء الفوضويين والاشتراكيين والجمهوريين الإيطاليين أن الملجأ الحقيقى هو ملكيات أوروبا الوسطى . ورأت إيطاليا ضرورة التضامن مع ألمانيا ، لا سيما عندما أخذ بسمارك يستصلح البابوية ، فخشيت الحكومة الإيطالية أن يقوم حلف بين ألمانيا والبابوية على حساب الوحدة الإيطالية الحديثة ولما قررت الانضمام إلى ألمانيا ذكرها بسمارك أن الطريق لي برلين لابد أن يمر بقينا وعلى إيطاليا أن تحسن علاقاتها بالنمسا . وفي أكتوبر عام ١٨٨١ قام همبرت ، ملك إيطاليا ، بزيارة فينا ، وكان طريقاً طويلا منذ أيام كافور العظيمة وعرض الإيطاليون على النمسا والمجر أمنا متبادلا، وأوضحوا أن فرنسا تهددهم ، ولكن الهدف الحقيقي من داخليا ، لكى يصونوا الملكية من تغيير مفاجئ يقوم به الجمهوريون ، أو من تدخل الدول الأجنبية لإعادة سلطة البابا الزمنية . ولكن هذه الزيارة لم تؤد إلى النتيجة المرجوة .

ذلك أن في فبراير عام ١٨٨٢ أحيا بسمارك المفاوضات مرة أخرى ، والسبب في "جمبتا Gambetta " الوطني الراديكالي الكبير قد أصبح رئيسا للوزراء في فرنسا للمرة الأخيرة (نوفمبر عام ١٨٨١) ، وود في نهاية الأمر أن يتحالف . الروسيا وانجلترا ، كما ود أكثر أن يتصالح مع إيطاليا ، وانتوى أن : الأمور ثقل وزن ألمانيا وتجعل تسوية مسألة الألزاس واللورين بالمفاوضات أمرا ميسورا . ولم ينزعج بسمارك من هذه البادرة ، فقد تمنى شخصيا بطريقة غامضة أن يتصالح مع فرنسا ، بيد أن وصول جمبتا للحكم كان له تأثير ملحوظ على سياسة روسيا التي سعت في هذا الوقت إلى التحالف مع فرنسا حقيقة أن جمبتا قد سقط ولم يتحقق أمل الروسيا في تنفيذ تلك السياسة ، ولكن موقف روسيا هذا هز إيمان بسمارك في

سياسة المحافظين الروس . وفي ٢٨ فبراير حث بسمارك النمسا على إحياء المفاوضات مع إيطاليا ، وأسفرت المفاوضات الثنائية : وإيطاليا عن مخالفة ثلاثية اشتركت فيها ألمانيا ووقعت في ٢٠ مايو عام ١٨٨٢ تنهى هذه بين النمسا وقد نصت معاهدة التحالف الثلاثي على المواد التالية المادة الأولى : تعد الأطراف المتعاقدة السامية بعضها البعض بالصداقة ، وبعدم الدخول في أي تحالف أو التزام موجه ضد أي وتتعهد الدول المتحالفة بتبادل الآراء حول المسائل السياسية والاقتصادية ذات الصبغة العامة ، كما تتعهد أيضا بتأييد بعضها البعض في نطاق مصالحهم الخاصة .

كان من جانب تثير المادة الثانية : في حالة تعرض إيطاليا للهجوم لأي سبب فرنسا دون أن تثير (إيطاليا) أي استفزاز ، فإن الطرفين الأخيرين المتعاقدين سيضطران إلى تقديم العون والمساعدة بكل قواها للطرف الذي يهاجم . وينطبق هذا الالتزام نفسه على إيطاليا في حالة هجوم من جانب فرنسا ضد ألمانيا دون أن أي استفزاز مباشر.

المادة الثالثة : إذا ما حدث وهوجم طرف أو طرفان من الأطراف السامية المتعاقدة دون ما استفزاز مباشر من جانبها ، وإذا ما وجدت نفسها وقد انخرطت في حرب مع دولة أو أكثر من الدول العظمى لم توقع على المعاهدة الحالية ، فإن هناك ما يبرر قيام كل الأطراف المتعاقدة السامية بالحرب في وقت واحد .

المادة الرابعة : إذا ما هددت دولة عظمى غير موقعة على المعاهدة الحالية سلامة الدول السامية المتعاقدة ، وإذا ما وجدت الدول المهددة نفسها على هذا النحو مدفوعة إلى شن الحرب ضد تلك الدولة ، فإن الطرفين الآخريين يلتزمان بالحياد المشوب بالعطف بجانب حليفتهما ، وتحتفظ كل منهما بحقها في الاشتراك في الحرب إذا ما رأت أنه من المناسب جعلها قضية عامة مع – حليفتها . المادة الخامسة : إذا ما

برز أي تهديد لسلم أحد الأطراف المتعاقدة في الأحوال المنصوص عليها في المواد السالفة الذكر ، فإن الأطراف المتعاقدة السامية تجتمع مع بعضها البعض في الوقت المناسب حول موضوع الاجراءات العسكرية المطلوبة لأجل تعاونهما النهائي . وتتعهد أنه الآن فصاعدا ، وفي كافة الأحوال وفي حالة اشتراكهما في الحرب معا ، بأنها لن تعقد هدنة أو صلحا أومعاهدة إلا بالاتفاق المتبادل.

وكانت مدة المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، وكانت معاهدة دفاعية بحتة غايتها المحافظة على السلم في أوروبا . وفي الظاهر ربط هذا التحالف وسط أوروبا معا وأحيا الإمبراطورية الرومانية المقدسة على أوسع نطاق يتمشى مع السياسة الخارجية . أما من الناحية العملية ، فقد أيد التحالف فقط الملكية الإيطالية ، وضمن حياد إيطاليا في حالة نشوب حرب نمسوية مجرية ضد الروسيا . وقد وعدت ألمانيا بالدفاع عن إيطاليا ضد فرنسا ، ولما كانت المساعدة الإيطالية لا قيمة لها ، فلم تحصل ألمانيا إذا على المقابل ، وفي الواقع كان بسمارك يعلم أن الفرنسيين لا ينوون الهجوم على ايطاليا ، ولهذا السبب فلم يعتبر أن الالتزام يشكل عبئا ، كما علم بذلك الإيطاليون أيضا وكانت حاجتهم الحقيقية هي الاعتراف بهم كدولة عظمى لا حمايتهم من فرنسا ، ولقد أعطاهم التحالف الثلاثي هذا الأمر .

وعلى أية حال ، تقوت المحالفات التي قام بها بسمارك بإتفاقيتين آخريين قامت بهما النمسا الصرب ورومانيا ، ففي عام ١٨٨١ وقعت النمسا معاهدة الصرب ، وعدت بموجبها الصرب بمساعدة العائلة المالكة هناك ، وأن تستخدم نفوذها بين الدول الأخرى لتأييد مصالح الصرب ومن ناحية أخرى ، وعدت الصرب النمسا بعدم عقد معاهدة سياسية مع دولة أخرى دون تفاهم سابق النمسا . وفي عام ١٨٨٣ عقدت النمسا معاهدة مع رومانيا ، التي أجبرت على التنازل عن جزء من بسارابيا إلى الروسيا في معاهدة برلين ؛ وتعهدت النمسا بمقتضى هذه المعاهدة بمساعدة

رومانيا إذا هوجمت من قبل دولة ثالثة دون استفزاز من جانبها ، كما يجب على رومانيا التفاهم مع النمسا إذا هوجمت الأخيرة في جزء من أراضيها المتاخمة لرومانيا وقد انضمت ألمانيا إلى هذا التحالف ، أما إيطاليا فقد انضمت إليه عام ١٨٨٨ . وجددت المعاهدة إلى عام ١٩١٣ وهكذا أصبحت النمسا في مركز قوى في البلقان .

تجديد التحالف الثلاثي (١٨٨٧) :

بعد مؤتمر برلين لم تستقر الأحوال في البلقان ، وكانت الروسيا غير راضية عن تقسيم بلغاريا ، ولكنها حاولت على الرغم من ذلك الاستفادة من شروط معاهدة برلين التي تقضى باحتلال الروس بلغاريا أشهراً معدودات . واختار القيصر بموافقة الدول أحد أقربائه وهو اسكندر أمير باتنبرج | الألماني للعرش البلغاري . ورغم إخلاء الروس لبلغاريا ، الا أنهم ظلوا يحتلون معظم الوظائف المهمة ، مؤملين أن يظلوا أصحاب النفوذ الأعلى فيها . وفي بلغاريا الجنوبية (الروملي الشرقية) ، التي تركت تحت إشراف الباب العالي ، عمل المندوب الروسي الذي كان يحكمها على إثارة الشعور ضد الباب العالى ، وعلى إيجاد نظم مماثلة لنظم بلغاريا الشمالية لتوحيد بلغاريا . ولكن البلغاريين كانوا يعملون على الاستقلال عن كل من الدولة العثمانية وروسيا ؛ وحقد البلغاريون على الروس لاحتلالهم المناصب المهمة في الدولة . وفي ذلك الوقت أعلن بسمارك أنه ليس لألمانيا مصالح في بلغاريا وأن مصلحتها هي إقامة علاقات السلام مع روسيا ، وكان يرى ألا تقحم النمسا نفسها في مسائل بلغاريا ، وأن تترك الروسيا تفعل ما تشاء في بلغاريا ، وكان دائما قلقاً لاضطراب العلاقات الروسية . النمسوية ، لأن

النمسا ربما كانت تطمع في أن يحل نفوذها محل الروس في بلغاريا . أما الروسيا فكانت ترى أنه إذا انضمت البلغاريتان فينبغي أن يكون ذلك عن طريق الروسيا لا عن طريق باتنبرج . وفي عام ١٨٨٥ قامت الثورة في بلغاريا الجنوبية (الروملي

الشرقية) وطرد الحاكم العثماني ، واضطر باتنبرج إلى قبول التاج بعد تردد . وغضبت روسيا وطلبت من الدولة العثمانية عقد مؤتمر دولي في الأستانة للنظر في هذه المسألة ، ولكن الصرب استعدت لاحتلال مقدونيا وإعادة التوازن في البلقان ، وطلبت من النمسا تأييدها . وإزاء تردد النمسا ، أعلنت الصرب الحرب على بلغاريا ، وبعد هزيمة الصرب أرسلت النمسا إلى بلغاريا تطلب وقف الحرب وإلا فإنها ستساعد الصرب ، وفعلا عقدت الهدنة بين الطرفين في ديسمبر عام ١٨٨٥ . أما بالنسبة لبلغاريا ، فقد اتفق باتنبرج مع العثمانيين على ضم الروملي على أن تعين الدولة « الأمير البلغاري حاكما على الروملي الشرقية » ، وتم تحقيق ذلك في ٨ فبراير عام ١٨٨٦ لمدة خمس سنوات . ولكن روسيا عملت على طرد باتنبرج من العرش البلغاري ، وأجبروه على التنازل عنه ، وفرض القيصر على بلغاريا أميراً يوافق عليه هو . واختار البلغاريون أميراً دانمركيا فرفض القيصر ، وتقرر عقد مجلس وطني في بلغاريا لتقرير من يحكم البلاد ، غير أن روسيا أعلنت عدم استطاعتها الاعتراف بهذه الخطة ولا بقرارات المجلس ؛ وعندما انتخب المجلس أميراً دانمركيا قطعت الروسيا علاقاتها السياسية ببلغاريا .

وأعلنت النمسا في ذلك الوقت أنها لا تسمح بتغيير الوضع الراهن في البلقان مما أدى إلى تكدير العلاقات الروسية . النمسوية بدرجة أعلن معها السفير الروسي في برلين « بأنه من الضروري لنا أن نعمل على اختفاء النمسا من خريطة أوروبا » . وأصبح موقف بسمارك حرجا للغاية ، إذ قال الروس أنه لولا تأييد ألمانيا لما استطاعت النمسا أن تتحدث بهذه اللغة . وكان بسمارك حريصاً على عدم اصطدام المصالح النمسوية . الروسية في البلقان ، وعلى المحافظة على اتحاد الأباطرة الثلاثة ؛ وفي نفس الوقت أعلن أنه سيقف بجانب النمسا إذا تهدد مركزها كقوة عالمية . لكنه ، من ناحية أخرى ، قال بأنه لا يعارض أي خطوة تخطوها الروسيا

في بلغاريا ما عدا الاحتلال ، وأنه لا يعارض في أن تشرف الروسيا على المضايق . ومما دفع بسمارك إلى اتباع هذه السياسة هو علاقاته السيئة مع فرنسا في عام ١٨٨٦ ، ففرنسا كانت مستعدة للحرب إذا ما قامت بين ألمانيا والروسيا ، فلقد قوى مركز الملكيين في البرلمان الفرنسي وعين بولنجر وزيرا للحربية ، وأعلنت فرنسا أن سياستها ستتركز في أوروبا .

وفي الواقع كانت الأوضاع في فرنسا مثيرة للقلق فلقد شعرت فرنسا بعزلتها السياسية منذ معاهدة فرانكفورت ، ونتيجة لمسألتي تونس ومصر ، وبعد توقيع التحالف الثلاثي . فبالنسبة لمصر أعلنت انجلترا أنها لن تبقى فيها بعد استقرار النظام في البلاد ، ولكن مرت سنوات ولم تنفذ انجلترا وعدها ، ورفضت مناقشة فرنسا في موضوع الجلاء كما أن العلاقات الفرنسية . الإيطالية لم تكن أسعد حالا بسبب احتلال فرنسا لتونس ، وعمل ساسة فرنسا حينئذ على إيجاد وفاق فرنسي – روسى . ومنذ أن تولى بولنجر منصب وزير الحربية ، أصبح رمز المطالبة بالثأر والانتقام ، ومحرر الألزاس واللورين ، ومصدر فزع ألمانيا وأمل فرنسا . ولم يشعر بسمارك بالارتياح إزاء موقف فرنسا ، خصوصا وأن بولنجر اهتم بالجيش وإصلاحه ، ولقد خشى بسمارك أن تغتر فرنسا ففتعلن الحرب ، وإزداد الموقف خطورة بعد التطورات السابقة التي حدثت في بلغاريا ، واستياء الروس من سياسة النمسا واعتقادهم بأن ألمانيا تعضدها ، وهنا أصبح تخالف فرنسا مع روسيا أمرا محتمل الوقوع في عام ١٨٨٦

وعلى أثر ذلك تقدم بسمارك بلائحة إلى الرايخ الألماني في ٢٥ نوفمبر عام ١٨٨٦ يذكر فيها نية الحكومة في تقوية الجيش وتسليحه ، وخاصة لأن اتحاد القياصرة الثلاثة أصابه الفتور ، وأن روسيا تعطف على فرنسا التي ظهر فيها الجنرال بولنجر بطل الانتقام الفرنسي من ألمانيا . وبدأ بسمارك يهتم بتجديد التحالف

الثلاثي الذي كانت مدته على وشك الانتهاء ، وذلك لبناء سد منيع في وجه التقارب الروسي – الفرنسي وكانت النتيجة المباشرة هي تجديد المخالفة التي كانت ستنتهي في مايو ١٨٨٧ بين إيطاليا والنمسا ، ولكن ايطاليا لم ترغب في تجديد المحالفة الأولى بحذافيرها ، وإنما رغبت في إدخال بعض التعديلات في قسم من موادها .

ولما كان الموقف الدولي حرجا ، اضطر بسمارك إلى قبول التعديلات التي اشتملت على تجديد المحالفة القديمة كما هي ؛ عقد معاهدة جديدة بين ألمانيا وإيطاليا ؛ وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وإيطاليا ؛ ووقعت المعاهدات في برلين في ٢٢ فبراير عام ١٨٨٧ وقد نصت المادة الثالثة من المعاهدة الألمانية الإيطالية على أنه « إذا حدث أن أرادت فرنسا بسط سيطرتها أو فرض حمايتها على الأراضي في شمال أفريقيا كطرابلس أو تونس أو مراكش ، فإن للحكومة الإيطالية الحق ، كى تحافظ على وضعها في البحر المتوسط ، أن تقوم بحركات في شمال أفريقيا أو أن تتخذ إجراءات عسكرية في الأراضي الفرنسية في أوروبا . إن الحالة الحربية التي تنشأ من جراء ذلك بين فرنسا وإيطاليا تلزم الدولتين الحليفتين (ألمانيا وإيطاليا) التشاور فيما بينهما بطلب من إيطاليا لأجل اتخاذ المقاييس العسكرية كما لو كانت الدولتان في تفاهم سابق بينهما .

وجاء في المادة الرابعة من نفس المعاهدة أنه « إذا دارت الدائرة على فرنسا من جراء الحرب التي تقوم بها ألمانيا وإيطاليا بصورة مشتركة ضدها ، وأرادت إيطاليا الضمان الإقليمي من فرنسا لأجل المحافظة على حدود المملكة ولأجل حماية أقاليمها البحرية ، وللمحافظة على سلامة البلاد واستقرارها والسلام الأوروبي ، فيجب على ، ألمانيا أن لا تقدم عوائق بشأن هذه المطالب ، وإذا اقتضت الحاجة ، أن تقدم ألمانيا التسهيلات اللازمة لأجل الحصول على هذه المطالب من فرنسا »

أما المادة الأولى من المعاهدة الإيطالية- النمسوية فقد نصت على ربط الدولتين بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق ، وأضافت « إذا كانت المحافظة على الوضع الراهن صعبة في البلقان أو في بحر ايجة أو في سواحل الدولة العثمانية وجزر الأدرياتيك ، وإذا أرادت دولة ثالثة ، أو أن النمسا أو إيطاليا وجدت أنها مضطرة إلى تعديل هذا الوضع باحتلال مؤقت أو دائم ، يجب أن يكون هذا الاحتلال نتيجة لاتفاق سابق بين الدولتين على أساس التعويض المتبادل لكل جديدة بين ألمانيا وإيطاليا ؛ وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وإيطاليا ؛ ووقعت المعاهدات في برلين في ٢٢ فبراير عام ١٨٨٧ وقد نصت المادة الثالثة من المعاهدة الألمانية الإيطالية على أنه « إذا حدث أن أرادت فرنسا بسط سيطرتها أو فرض حمايتها على الأراضي في شمال أفريقيا كطرابلس أو تونس أو مراكش ، فإن للحكومة الإيطالية الحق ، كى تحافظ على وضعها في البحر المتوسط ، أن تقوم بحركات في شمال أفريقيا أو أن تتخذ إجراءات عسكرية في الأراضي الفرنسية في أوروبا . إن الحالة الحربية التي : تنشأ من جراء ذلك بين فرنسا وإيطاليا تلزم الدولتين الحليفتين (ألمانيا وإيطاليا) التشاور فيما بينهما بطلب من إيطاليا لأجل اتخاذ المقاييس العسكرية كما لو كانت الدولتان في تفاهم سابق بينهما .

وجاء في المادة الرابعة من نفس المعاهدة أنه « إذا دارت الدائرة على فرنسا من جراء الحرب التي تقوم بها ألمانيا وإيطاليا بصورة مشتركة ضدها ، وأرادت إيطاليا الضمان الإقليمي من فرنسا لأجل المحافظة على حدود المملكة ولأجل حماية أقاليمها البحرية ، وللمحافظة على سلامة البلاد واستقرارها والسلام الأوروبي ، فيجب على ، ألمانيا أن لا تقدم عوائق بشأن هذه المطالب ، وإذا اقتضت الحاجة ، أن تقدم ألمانيا التسهيلات اللازمة لأجل الحصول على هذه المطالب من فرنسا »

أما المادة الأولى من المعاهدة الإيطالية النمسوية فقد نصت على ربط الدولتين بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق ، وأضافت : « إذا كانت المحافظة على الوضع الراهن صعبة في البلقان أو في بحر ايجة أو في سواحل الدولة العثمانية وجزر الأدرياتيك ، وإذا أرادت دولة ثالثة ، أو أن النمسا أو إيطاليا وجدت أنها مضطرة إلى تعديل هذا الوضع باحتلال مؤقت أو دائم ، يجب أن يكون هذا الاحتلال نتيجة لاتفاق سابق بين الدولتين على أساس التعويض المتبادل لكل فائدة تجنيها هاتين الدولتين ، سواء أكانت الفائدة إقليمية أو غيرها .. وأن ترضى كل منهما الأخرى من ناحية المصالح والمطالب التي تدعيها كل منهما » . ولقد رفعت هذه المعاهدة قيمة إيطاليا ومن مركزها في البحر المتوسط وفي البلقان . وعلى العموم أصبح لهذا التحالف صبغة هجومية ، واعترف بحق إيطاليا في تأسيس إمبراطورية استعمارية ؛ كما اعترف بحقها في نيس وكورسيكا وتونس كضمانات في حالة حرب ناجحة مع فرنسا كذلك اعترف بحق إيطاليا في تعويض أرضى في حالة قيام حرب ألمانية فرنسية . ولقد وافق بسمارك على إعطاء كل تلك الامتيازات لإيطالي لأنه كما قال : « إذا أرادت دولة التخلص من شرط معاهدة لن تجد صعوبة كبيرة في تفسيره التفسير الملائم » . ومما تجدر ملاحظته أن المادتين الأخيرتين في المعاهدة غامضتان.

معاهدة الضمان الألماني ـ الروسي (١٨٨٧) :

في اليوم الذي تم فيه تجديد التحالف الثلاثي كتبت صحيفة نورد Nord الروسية تقول أن روسيا سترقب الأحداث على الراين باهتمام ، وأن مصلحتها تحتم عليها ألا تقف موقف الحياد كما حدث في عام ١٨٧٠ عند وقوع الحرب الفرنسية البروسية وأن روسيا لن تسمح بأن تصبح فرنسا دولة ضعيفة . وقد ساعد تسرب الأخبار عن تجديد التحالف الثلاثي على التقارب بين روسيا وفرنسا . وفي تلك

الأثناء أيضا وقع حادث تافه على الحدود الفرنسية الألمانية مما دفع ببولنجر إلى حشد قواته على الحدود والتهديد بالحرب ، ولكن الوزارة الفرنسية سقطت وسر بسمارك لخروج بولنجر ، وبدأ يعمل على استصلاح روسيا وتوجيه اهتمامها إلى الشرق وإلى المناطق التي تحتاج فيها إلى تأييد ألمانيا . وفي ذلك الوقت تغيرت وجهة نظر السياسة الروسية تجاه ألمانيا ، وأرسل القيصر الروسى شوفالوف إلى برلين بعد أن عرضت فكرة عقد اتفاق روسى –ألماني على سفير ألمانيا في بطرسبرج ووجدت ترحيبا منه . واشتملت التعليمات التي أصدرها القيصر إلى شوفالوف على الموضوعات التالية :

١– ضمان السلام اللازم لنمو قوى روسيا الحربية والبحرية ولحماية روسيا من المخالفات الأوروبية .

٢ . العمل على إبقاء الوضع الراهن في البلقان والاعتراف بتفوق النفوذ الروسي في بلغاريا

٣ . إغلاق المضايق

وكانت روسيا ترغب في تحقيق ذلك عن طريق التأييد الألماني وقد اعترضت فكرة التحالف الروسي الألماني عدة صعوبات ، فبسمارك لم يكن على استعداد لإخراج النمسا من التحالف ؛ وعلى الرغم من ذلك بدأت المفاوضات في ١١ مايو ١٨٨٧ وانتهت في ١٨ من نفس الشهر ، واتفقت الدولتان (ألمانيا وروسيا) على توقيع معاهدة سرية بينهما سميت بمعاهدة الضمان الروسي الألماني وقد نصت المادة الأولى على أنه « إذا هوجمت إحدى الدولتين المتعاقدتين من قبل دولة ثالثة تلتزم الدولة الأخرى المتعاقدة جانب الحياد الودى ، إن هذا النص غير نافذ المفعول

في حالة هجوم إحدى الدولتين المتعاقدتين على النمسا أو فرنسا » ، ونصت المواد الأخرى على ما يلي

١ . اعتراف ألمانيا بالحقوق لروسيا في البلقان ، وبحق الروس في تفوق نفوذهم في بلغاريا.

٢ . تتعهد الدولتان بالعمل على المحافظة على الوضع الراهن في البلقان.

٣ . تتعهد الدولتان بفرض رغبتهما على الدولة العثمانية بضرورة إغلاق المضايق في وجه أعدائهما.

وهكذا ضمنت ألمانيا حياد روسيا في حالة إعتداء فرنسا عليها ، كما أن روسيا ضمنت حياد ألمانيا إذا ما هاجمتها النمسا ، ولم يكن بسمارك مضطرا لمساعدة النمسا في حالة اعتدائها على روسيا كما أنه لم يكن ينوى الهجوم على فرنسا لأن ألمانيا لا تنوى الحرب مع فرنسا ولقد اعترف بسمارك بمصالح روسيا في البلقان ، وأيد روسيا في الإجراءات التي تتخذها بشأن المضايق (البوسفور والدردنيل) وذلك بوقوف ألمانيا على الحياد وتأييد روسيا دبلوماسيا ، ولكن بسمارك كان يعلم أن بنود معاهدة التحالف الثلاثي بخصوص البحر المتوسط والبلقان كانت قوية إلى درجة تمنع روسيا من تحقيق ما تريده بشأن المضايق حتى إذا وقفت ألمانيا على الحياد .

وكانت مدة المعاهدة ثلاث سنوات وقد وقعت هذه المعاهدة في عام ١٨٩٦ ، واتهم بسمارك بأنه خان النمسا في هذه المعاهدة ، لكن الأمر غير ذلك فلقد أعلن بسمارك بأنه غير ميال لتأييد سياسة النمسا البلقانية أو الدخول في حرب من أجلها . ولقد جاءت هذه المعاهدة وفقا لرغبته في تقسيم البلقان إلى منطقتى نفوذ شرقية في بلغاريا والأستانة والمضايق لروسيا وغربية للنمسا . وبتوقيع معاهدة الضمان أتم

بسمارك سياسة التحالفات ، وبذلك ضمن سلامة ألمانيا نظريا على الأقل . وعمل بسمارك على عدم معارضة السياسة الروسية في بلغاريا ، وأيد اتحاد دول البحر المتوسط ليضع حدا لمطامع الروسيا ، ولكي يمنع تحالفها (أي الروسيا) مع فرنسا ثانيا .

التحالفات الدولية بعد سقوط بسمارك (١٨٩٠-١٩١٤) :

في عام ١٨٨٨ توفى الإمبراطور الألماني وليم الأول وخلفه حفيده وليم الثاني على العرش ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الخلاف بين الإمبراطور وبسمارك . وكان وليم الثاني رجلا ذكيا ونشيطا ، وعلى الرغم من إعجابه ببسمارك إلا أنه لم يرغب أن يقف مكتوف الأيدي بينما يحكم بسمارك حكما مطلقا ، وكان بسماك قد بلغ سن الشيخوخة ، وأصبح متمسكا بآرائه الأمر الذي أدى إلى الصدام بين الطرفين وانتهز أعداء بسمارك الفرصة لتوسيع الخلاف بينهما ، فعندما حل موعد انتهاء معاهدة الضمان الألماني . الروسي في عام ١٨٩٠ ، والتي كان بسمارك قد وعد القيصر الروسي بتجديدها ، رفض وليم الثاني ذلك ، واقتنع بآراء خصومه بأن مواد معاهدة الضمان تخالف مواد المعاهدة الثنائية بين النمسا وألمانيا في عام ١٨٧٩ ، وحينئذ استقال بسمارك ، ولم تجدد ألمانيا المعاهدة على الرغم من رغبة روسيا في ذلك ، ولذلك اضطرت روسيا إلى البحث عن حليفة أخرى ، وارتمت في أحضان فرنسا.

وترجع أهمية عام ١٨٩٠ في التاريخ الأوروبي إلى أنها سنة فاصلة في الفترة ما بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ ، فلقد تخلى بسمارك في تلك السنة ، كما رأينا، عن إدارة أمور السياسة الأوروبية ، ولقد أعلن سولزبرى أن سقوط بسمارك «مصيبة هائلة) وكانت برلين مركز السياسة الدولية الأوروبية ، وفي الواقع كان بسمارك دعامة السلام الأوروبي ، ولكن سقوطه كان يعني تغيير السياسة الخارجية الألمانية ، فرفضت ألمانيا تجديد معاهدة الضمان مع روسيا ، بينما كانت سياسة بسمارك بناء

التحالف الثلاثي وتجديده وحفظ العلاقات الودية مع روسيا ، والعمل على كسب صداقة انجلترا ، وإبقاء فرنسا في عزلة سياسية حتى لا تفكر جديا في حرب مع ألمانيا .

التحالف الثنائي بين فرنسا وروسيا (١٨٩١ . ١٨٩٤) :

أعطى عدم تجديد معاهدة الضمان ، ورفض ألمانيا إعطاء روسيا وعدا مكتوبا ببقائها على سياستها القديمة إزاء روسيا ، أعطى الدولة الأخيرة حرية في العمل . فلقد شعرت روسيا بعزلتها ، وعرفت أن ألمانيا تريد أن تستبدل بالتحالف الروسي التحالف الإنجليزي ، فأخذت روسيا تبحث عن حلفاءها ولذلك تعاونت مع فرنسا في المسألة المصرية ، وتأكدت روسيا نهائيا من موقف ألمانيا التي حاولت تقوية التحالف الثلاثي وتأييد النمسا ، بل وأطلعت النمسا على معاهدة الضمان التي عقدها بسمارك معها ، وأيدت نهائيا وجهة النظر النمسوية في البلقان ومن ناحية أخرى ، أخذت فرنسا ، بعد سقوط بسمارك ، تلعب دورا إيجابيا في السياسة الأوروبية ، فحاولت إبعاد إيطاليا من التحالف الثلاثي ومن تحالف البحر المتوسط ، وتدخلت في أمور الفاتيكان وضد مصالح إيطاليا الاستعمارية . وتعاونت فرنسا مع الروسيا في خلق المشاكل لانجلترا في مصر ، كما احتجتا على المعاهدة الإنجليزية الألمانية التي أعطت الإنجليز الحق في فرض الحماية على زنزبار. وشعرت انجلترا بالقلق إزاء موقف الروسيا وفرنسا من السياسة الإنجليزية في مصر ولذلك عمل سولزبرى على توثيق علاقاته ، وإيطاليا ، وفي نفس الوقت دارت محادثات بينه وبين مارشال (Marshall) ، وزير خارجية ألمانيا ، أظهرت اتفاق آراء الدولتين . وكان لذلك وقع سيئ في كل من فرنسا والروسيا ، لا سيما بعد أن أعلنت الحكومة الانجليزية في البرلمان عن وجود اتفاق بينهما وبين إيطاليا منذ عام ١٨٨٧ .

وكان الرد الطبيعي على ذلك هو التقارب بين فرنسا وروسيا ، و ، وأظهرت فرنسا أنها لا تستطيع إقراض الروسيا إلا إذا عملت الأخيرة على زيادة التقارب منها . وكانت الروسيا في أشد الحاجة إلى مساعدة فرنسا المالية لتنظيم ماليتها ولاستكمال بناء خطوطها الحديدية . وكان الرأي العام الروسي والصحافة الروسية مؤيدة للتحالف ، وهكذا بدأت المفاوضات بين الدولتين وانتهت بعقد التحالف بينهما عام ١٨٩١ . وقد نصت الاتفاقية على ما يلي :

١- تتعهد الدولتان المتعاقدتان التفاوض في كل مسألة من شأنها تهديد السلام العام.
٢-ـ إذا حدث تهديد السلم فعلا ، وخاصة في حالة تهديد أحد الطرفين المتعاقدين من قبل الأعداء ، فإنهما يتفقان على الخطط التي تتطلبها أهدافهما .

وهكذا اتفقت الدولتان على أن تساعد كل منهما الأخرى حربيا إذا اعتدت دولة من دول التحالف الثلاثي على إحداهما ، وأن يتناقش أركان – الدولتين في وقت السلم ، وألا تعقد فرنسا أي معاهدة منفردة مع دول التحالف الثلاثي ، وأن تكون المعاهدة سرية ، غير أن هذا التحالف كان غامضا وكان الوضع الدولي قلقا خلال عام ١٨٩٣ . فطلب الفرنسيون إكمال الحلف بميثاق ١٨٩٣ عسكرى ، وقد تم ذلك في عام ١٨٩٤ ، وبموجبه تعهدت روسيا بمساعدة . فرنسا بمليون ونصف جندي إذا ما هاجمتها ألمانيا ، كما وعدت فرنسا روسيا بنفس العدد إذا ما هاجمتها النمسا تساعدها ألمانيا . وبذلك تكون ما يسمى بالتحالف الثنائي ، ووطدت دعائم الحلف زيارة القيصر نقولا الثاني لفرنسا عام ١٨٩٤ حيث استقبل بحفاوة بالغة ، ورد مسيو فور رئيس الجمهورية الفرنسية ، له الزيارة في العام التالي.

التحالف الإنجليزي – اليابانى (١٩٠٢) :

تم التوازن بين دول الوفاق الثنائي (فرنسا وروسيا) والتحالف الثلاثي (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) بعد عام ١٨٩١ ، واستمر هذا التوازن حتى عام ١٩٠٤ ، إذا انصرفت الدول الأوروبية الكبرى إلى التوسع الاستعمارى خارج القارة الأوروبية وقد سبقت انجلترا غيرها في هذا المضمار واتبعت سياسة الانعزال عن الشئون الأوروبية ، وقد تميزت الفترة الواقعة فيما بين عامي ١٨٩٤ و ١٩٠٤ بثلاثة اتجاهات هامة :

١ . تخلى روسيا عن الشؤون الأوروبية واتجاهها إلى الشرق الأقصى بهدف التوسع وبسط النفوذ ، ولم تهتم بالشئون الأوروبية مرة أخرى إلا بعد هزيمتها أمام اليابان عام ١٩٠٥.

٢ . اتسع المجال أمام ألمانيا للتحكم في الشئون الأوروبية والدولية ، واستغلت في معظم الأحيان التنافس الاستعماري بين انجلترا وفرنسا وروسيا للحصول على الأراضي ، وانتهزت الفرص لمنافسة انجلترا بشتى الطرق أوالاشتراك في التنافس الاستعماري والاستيلاء على بعض الممتلكات الأفريقية .

٣ . ظلت انجلترا منعزلة عن التحالفات الأوروبية ، وقد شعرت انجلترا بمنافسة ألمانيا لها لا سيما في مجال الاستعمار ، ولذلك بدأت تتفاوض مع روسيا وألمانيا لإقامة تقارب معهما .

ومن العوامل التي شجعت على التقارب الإنجليزي الألماني مضايقات فرنسا المتتالية للاحتلال الإنجليزي لمصر ، مما جعل انجلترا في حاجة إلى تأييد قناصل دول التحالف الثلاثي لمشروعاتها في توطيد الاحتلال واستمراره . ولما شعرت انجلترا بخطورة عزلتها ، فاتح چوزيف تشمبرلين ، وزير المستعمرات ، السفير الألماني في

لندن عام ١٨٨٩ في موضوع إقامة تحالف إنجليزي . ألماني ولكن بيلوف (Bülow) ، مستشار ألمانيا ، لم يكن متحمساً لذلك التحالف خوفاً من أن تستخدمه انجلترا لأغراضها الخاصة دفاعاً عن مصالحها . وفي عام و زار القيصر الألماني انجلترا ، وفاوض تشمبرلين بيلوف في الموضوع ، غير أن قيام حرب البوير * (١٨٩٩ – ١٩٠٢) .وعطف ألمانيا على البوير زاد من حدة الخلاف بين انجلترا وألمانيا . وعندما زار القيصر انجلترا للمرة الثانية.

في عام ١٩٠١ استؤنفت المفاوضات ، وكانت ألمانيا راغبة في الحلف ،ولكنها أرادت ضم انجلترا إلى التحالف الثلاثي . ولم توافق انجلترا لأن ذلك قد يجرها إلى الحرب ضد روسيا بسبب اختلاف المصالح بين روسيا والنمسا . وانتهت المفاوضات بالفشل ، وبدأت انجلترا تبحث عن حليف ضد الدول الاستعمارية التي كانت تنافسها في الأسواق كألمانيا وفرنسا وروسيا ، وكانت أولى هذه الدول هي اليابان . وشعرت انجلترا بأهمية هذا الحليف بسبب الدور الذي لعبته روسيا بعد الحرب الصينية . اليابانية عام ١٨٩٥ ، فقد نصت معاهدة شيمونسكي التي وقعت بين اليابان والصين عام ١٨٩٥ على تنازل الصين لليابان عن كوريا وفورموزا وشبه جزيرة لياوتنج بما فيها ميناء بورت آرثر . وقد أغضب روسيا وألمانيا وفرنسا استيلاء اليابان على هذا الميناء ، وأرسلت مذكرة شديدة اللهجة تطلب فيها من اليابان ردها ، واضطرت اليابان إلى الموافقة على مذكرة الدول ، وسحبت قواتها من شبه جزيرة لياوتنج وهي ناقمة لاسيما من روسيا خصمها المباشر التي احتلت ميناء بورت آرثر . وكان استيلاء روسيا على هذا الميناء ، من وجهه النظر الإنجليزية ، . تغييرا لتوازن القوى ويهدد الإمبراطورية البريطانية ولما كان الخطر الأكبر الذي يهدد انجلترا يكمن في النشاط الروسي في الشرق الأقصى ، اتجه الإنجليز إلى التفاهم مع اليابان على مواجهة هذا الخطر الروسي المشترك . وكانت اليابان في حاجة إلى كسب

انجلترا بالذات حتى تعد نفسها لضرب روسيا وهي مطمئنة إلى أن أكبر دولة بحرية أوروبية لا تعرقل مشروعاتها العسكرية ، وإلى أن آية دولة أخرى لن تدخل الحرب إلى جانب روسيا . ولذلك لم تكن المفاوضات بين الطرفين معقدة ، وتوصلا إلى ما عرف بالوفاق الودي الذي وقع في ٣٠ يناير عام ١٩٠٢ ، ويعتبر هذا الوفاق النهاية الفعلية لعزلة انجلترا . ونص على مايلي :

١ . اعتراف انجلترا بمصالح اليابان في كوريا .

٢ . اعتراف اليابان بمصالح انجلترا في الهند

٣- اتفقت الدولتان على أنه إذا حدثت حرب بين إحداهما ودولة ثالثة فإن الأخرى تلزم جانب الحياد ، أما إذا دخلت الحرب ضدها دولة رابعة فإن الدولة المتعاقدة الأخرى تبادر إلى مساعدة حليفتها ، ومعنى هذا التحالف أنه إذا وقعت الحرب بين اليابان وروسيا فإن انجلترا تلزم جانب الحياد ، أما إذا دخلت فرنسا إلى جانب حليفتها الروسيا ضد اليابان فإن انجلترا تساعد اليابان . وإذا نشبت حرب بين انجلترا وروسيا فإن اليابان تلزم جانب الحياد ، وإذا دخلت فرنسا الحرب إلى جانب روسيا ، فإن اليابان تساعد انجلترا، وعلى هذا الأساس سحبت انجلترا أسطولها في الشرق الأقصى إلى بحر الشمال للدفاع عن سواحلها والواقع أن الحالة الأولى هي التي حدثت عندما اندلعت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) ، حيث انحصرت الحرب بين اليابان وروسيا ولزمت انجلترا وفرنسا جانب الحياد ولم تتسع الحرب ، وكانت مدة هذا التحالف خمس سنوات وفي الحرب الروسية اليابانية استولت اليابان على بورت آرثر ، وفي معاهدة بورتسموث التي أعقبت الحرب (١٩٠٦) حصلت اليابان على تفوق كبير في الشرق الأقصى ، واعترفت روسيا بتفوق المصالح الاقتصادية والعسكرية اليابانية في كل من كوريا ومنشوريا ، كما

وافقت على نقل حقوق روسيا في شبه جزيرة لياوتنج وبورت آرثر إلى اليابان الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا (١٩٠٤) .

رأت انجلترا جليا خطر سياسة العزلة على مركزها ، وأثار النمو السريع للأسطول الألماني قلقها ومخاوفها . فإن ألمانيا لم تكتف بمزاحمتها في الأسواق الأجنبية ، وفي تملك المستعمرات في مختلف أرجاء العالم ، بل صرح الإمبراطور وليم الثاني عام ١٨٩٧ بأن مستقبل بلاده مرهون بسيطرتها على أمواج البحار ، وأظهر تصميمه القاطع على خلق أسطول عظيم لألمانيا يعزز مكانتها الأولى بين الدول العظمى ، وعاونه في تحقيق مشروعه وزير بحريته الشهير الأميرال تربتز (Tirpitz) الذي قال عنه المؤرخ لانجر (Langer) (ربما كان أكفأ شخص ظهر في أية دولة من دول العصر الحديث » . وقام تربتز بوضع مشروع هدفه احترام مركز ألمانيا التجاري والاقتصادي ، كما عمل على استكمال أسلحة الحرب البحرية وخاصة الطوربيد ، وأجاز الرايخشتاغ في عام ١٨٩٧ قانونا بتعزيز الأسطول الألماني وزيادة وحداته وبحارته زيادة كبيرة .

ولقد أعلن بيلوف أن ألمانيا لا تفكر في الاعتداء على انجلترا ، ولكن تأكيدات ألمانيا لم تساعد على محو مخاوف انجلترا ، وذلك للاهتمام الكبير الذي أظهره الإمبراطور بالمسائل البحرية ، ولأن تربتز اهتم بألا يكون لألمانيا بحرية دفاعية فحسب بل وهجومية أيضا . وبدأت انجلترا تزيد من اهتمامها بالمسائل البحرية وذلك بإنشاء قاعدة بحرية كبيرة وبناء أربع سفن حربية كل عام ، والاهتمام بتركيز الأسطول في المياه الإنجليزية . وهكذا زاد القلق في كل من الدولتين بسبب المشروعات البحرية التي تضعها الدولة الأخرى ، وحاولت انجلترا تهدئه خواطر ألمانيا بأن أعلنت بأنها ستخفف قليلا الاهتمام بإنشاء سفن حربية ، وكانت تنتظر أن تقوم ا الحكومة الألمانية بخطوة مماثلة ، ولكن ألمانيا لم تفعل وهكذا قربت العداوة

المشتركة لألمانيا بين انجلترا وفرنسا ، فألمانيا أصبحت الدولة الصناعية الفتية التي تنافس انجلترا في الاستعمار ، وهي عدوة فرنسا منذ عام ١٨٧٠ . وأرادت كل من الدولتين (انجلترا وفرنسا) تصفية مصالحهما الاستعمارية لمواجهة العدو المشترك . ووجد الساسة البريطانيون في مليكهم إدوارد السابع وسيلة صالحة للتقرب إلى فرنسا ، فقد كان هذا العاهل يكن حبا شديدا لتلك البلاد التي قضى في ربوعها زمنا من أمتع أيام شبابه ، وبادله الفرنسيون هذا الحب فاغتنم فرصة زيارته لوحدات الأسطول الانجليزي في مياه البحر المتوسط ، وقام في أثناء عودته بزيارة رسمية لباريس عام ١٩٠٣ ، واستقبله الفرنسيون بأعظم مظاهر الترحيب ، ورد رئيس الجمهورية الفرنسية له الزيارة بلندن في العام نفسه ، واستغل ساسة الدولتين هذا التقارب بين شعبيهما للسعى إلى تسوية الخلافات التي تحول دون حسن تفاهمهما.

وفي ٨ أبريل عام ١٩٠٤ تمكنت الدولتان من عقد الاتفاق الودى (Entente Cordiale) وتضمن هذا الاتفاق مواد علنية وأخرى سرية ، ونص على ما يلي

١ . تسوية المشاكل المتعلقة بمصائد الأسماك في نيوفوندلاند بين انجلترا وفرنسا وتعديل الحدود بين المستعمرات الفرنسية الانجليزية في أفريقيا.

٢ . تسوية بعض المشاكل في سيام ومدغشقر وأفريقيا الغربية .

٣ . اعتراف انجلترا بمصالح فرنسا في مراكش ، واعتراف فرنسا بمصالح انجلترا في مصر.

وأعلنت انجلترا بمقتضى الاتفاق أنها لن تعمل على تغيير مركز مصر السياسي ، وأعلنت فرنسا من جانبها أنها لن تعرقل عمل انجلترا في مصر ، ولن تطلب تحديد أمد الاحتلال الانجليزي . وبهذا الاتفاق ثبت الاحتلال الانجليزي أقدامه

في مصر من الناحية الفعلية ، ولم يعد هناك ما يحول دون فرض السيادة البريطانية الكاملة على البلاد سوى ذلك الخيط الشرعي الرفيع الذي كان يربط مصر بالدولة العثمانية . غير أنه لم تمر عشر سنوات أخرى حتى أعلنت انجلترا حمايتها على مصر وأصبح مركزها مضمونا من الناحيتين الفعلية والشرعية وأنهمت هذه التسوية عوامل التنافس بين انجلترا وفرنسا ، ولكنها تختلف عن معاهدات التحالف التي سبقتها من حيث أنها لم تشر إلى التعاون في حالة الحرب، وإنما هي اتفاقية لتسوية المشاكل المعلقة ، ولذلك سميت (بالاتفاق » ولم تسمى « بالتحالف » .

الاتفاق الانجليزي . الروسي (١٩٠٧) :

شعرت روسيا بعد هزيمتها أمام اليابان في عام ١٩٠٥ أنها بحاجة إلى أصدقاء بدلا من إثارة العداوات . وأدركت روسيا أيضا أن الدول التي حالت دون توسعها هي انجلترا والنمسا والمجر وألمانيا . وأصبح مجال التوسع الروسي بعد عام ١٩٠٥ منحصرا في الدولة العثمانية (في اتجاه الأناضول والعراق أو في اتجاه البلقان) وفي إيران . وكانت روسيا تدرك تماما أن انجلترا تعارض فكرة توسعها على حساب الدولة العثمانية خوفا من سيطرتها على المضايق (البوسفور والدردنيل) . كما وقفت النمسا والمجر أمام أي توسع روسي في البلقان ، وبدأ التنافس يتصاعد بينهما هناك منذ عام ١٩٠٣ ، وهكذا لم يبق أمام روسيا سوى إيران لكي تعمل فيها وتثبت للعالم أن روسيا لا تزال دولة كبرى . ولكن منذ قرن تقريبا وروسيا تواجه مقاومه انجليزية علنية وسرية لمشروعاتها التوسعية في إيران ، ولذلك رأت أن الوسيلة الوحيدة لفتح الطريق أمام مشروعاتها هو التوصل إلى تفاهم مع دول الحلف الثلاثي أو انجلترا . ولما كان أي تفاهم مع ألمانيا يهدد التحالف الروسي . الفرنسي ، أصبح التفاهم مع انجلترا أكثر واقعية .

وبعد نكبة روسيا في عام ١٩٠٥ أخذت انجلترا تقلل من تعنتها ضدها ، وفي الواقع لعبت فرنسا دورا مهما في فتح الطريق أمام التقارب الإنجليزي . الروسي . لقد كادت الحرب الروسية – اليابانية أن تجر كلاً من انجلترا وفرنسا إلى حرب لا مصلحة لهما فيها ، فكانت فرنسا حليفة لروسيا منذ عام ١٨٩٤ وانجلترا حليفة لليابان منذ عام ١٩٠٢ . ولدفع خطر حرب كهذه حرصت فرنسا على إتمام سلسلة المحالفات بعقد اتفاقية إنجليزية – روسية . وبعد هزيمة روسيا في عام ١٩٠٥ كان من السهل التقرب منها لعقد اتفاقية مع انجلترا ، وفعلا وقعت الاتفاقية أغسطس عام ١٩٠٧ وقد نصت ، بالإضافة إلى التحالف ، على تسوية المشاكل الاستعمارية خارج القارة الأوروبية ولكن بشكل أوسع من تلك التي عقدت بين فرنسا وانجلترا . كما قسمت إيران إلى منطقتى نفوذ : روسية في الشمال ، وانجليزية في الجنوب ، وبقى قسم مستقل في الوسط ، واعترفت روسيا بمصالح انجلترا في الخليج العربي وفي التبت ، ووعدت انجلترا بعد عقد الاتفاقية بتسهيل السبل لفتح المضايق أمام السفن الحربية الروسية ؛ كما أصبحت أفغانستان تحت حماية انجلترا . ومع أن هذه الاتفاقية قد ضمنت مصالح انجلترا أكثر مما ضمنت مصالح روسيا ، فإن الأخيرة علقت عليها الآمال لبلوغ مآربها في البلقان والدولة العثمانية في المستقبل . وقد تم في الوقت نفسه عقد اتفاقية بين روسيا واليابان اعترفت فيها كل من الدولتين بمصالح الأخرى في الصين ومنشوريا . وكذلك عقدت فرنسا واليابان اتفاقية تعترف فيها بأن الصين وحدة لا تتجزأ وبإقرار سياسة الباب المفتوح ؛ وأذاعت كل من انجلترا وأسبانيا وفرنسا وروسيا معا تصريحات بالمحافظة على الوضع الراهن في البحر المتوسط . وبهذا تمت سلسلة متواصلة من المحالفات والاتفاقيات السياسية التي ألفت جبهة خطيرة ضد دول التحالف الثلاثي .

وهكذا أحكم الوفاق الثلاثي Triple Entente بين فرنسا وانجلترا وروسيا الطوق حول ألمانيا . وقد زادت الأزمات الدولية التي حدثت بعد عقد هذا الوفاق من توثيق عراه ، وأهم هذه الأزمات ضم البوسنة والهرسك (في يوغوسلافيا الحالية) إلى النمسا ، وحادثة أغادير ، والحروب البلقانية (١٩١٢ . ١٩١٣) .

وقد أدت هذه الأزمات إلى مفاوضات بين أركان حرب انجلترا وفرنسا عام ١٩٠٦، وإلى الاتفاق بينهما في عام ١٩١٢ على أن تسحب انجلترا أسطولها من البحر المتوسط . وبذلك يكون قد تم التعاون البحرى بأن تحافظ انجلترا على سواحل فرنسا بحرا إذا هوجمت من الشمال ، وأن يكون الأسطول الفرنسي مقابل الأسطول النمسوي في البحر المتوسط . وقد حاولت ألمانيا في عام ١٩١٢ الاتفاق مع انجلترا بخصوص القوة البحرية للدولتين ، ولكن المفاوضات لم تؤد إلى ، نتيجة ، وهكذا انقسمت أوروبا إلى معسكرين كبيرين قبل عام ١٩١٤ ، فبينما كان الهدف الأساسي من التحالفات تجنب الحروب والمحافظة على السلام أصبحت باعثة على التصادم والتنازع وأنذرت بوقوع الحرب.

الفصل الثاني

الأزمات الدولية التي أدت إلى قيام الحرب العالمية الأولى

أولًا: أزمة ضم البوسنة والهرسك.

ثانيًا: أزمة أغادير.

ثالثًا: الحروب البلقانية.

رابعًا: مصرع ولي عهد النمسا

خامسًا: الدول المشاركة في الحرب العالمية الأولى.

عقب عقد الوفاق الروسي البريطاين بدا واضحاً أن أوروبا تسري نحو مجابهة بني المعسكرين، وأن مجالات المصالحة أصبحت شبه معدومة، وكانت مجالات اختيار الصلابة هي الباقية، وهي سياسة (حافة الحرب) وهي التي ستسيطر على العالم منذ ١٩٠٨ حتى نشوب الحرب في ١٩١٤ م وكانت قوى العالم الأخرى وخصوصاً اليابان والولايات المتحدة الأمريكية تراقب عن كثب تطور الأزمات بني الكتلتني حتى وصلت الأزمات ذروتها نتيجة حادثة من الحوادث التي وقعت كثرياً في أوروبا، ونعني بذلك اغتيال فرديناند ولي عهد النمسا، فكان الأزمة التي أشعلت نريان الحرب العالمية الأولى.

أولًا: أزمة ضم البوسنة والهرسك

كانت امبراطورية النمسا والمجر قد تولت إدارة هذين الإقليمين التابعين للدولة العثمانية وفقاً لمقررات مؤتمر برلين ١٨٧٨. وكانت حكومة النمسا تتطلع إلى ضم هذين الإقليمين ولأسباب تتعلق بأمنها وسلامة امبراطوريتها في المرتبة الأولى. حيث إن مطالبة قومية من قوميات امبراطورية النمساوالمجر بالاستقلال يعني تفكك هذه الامبراطورية المكونة من العديد من القوميات.

فقد كانت حركة (الجامعة الصربية) تقوى سنة بعد أخرى وكان معنى هذا أن الملايين من الصرب الذين يعيشون تحت حكم امبراطورية النمسا والمجر . سيطالبون إن عاجلا أو آجلا بالانضمام إلى بني قوميتهم في مملكة الصرب. وكانت حكومة الصرب حتى ١٨٨٢ موالية للنمسا حتى وقع انقلاب قضى على الملكية للنمسا ووضع على العرش بطرس قره جورجيفتش في ١٩٠٣ وبدأت موجة من الدعاية داخل امبراطورية النمسا والمجر نفسها «للصرب الكبرى» الأمر الذي كان يعتبر تهديداً مباشراً لكيان هذه الامبراطورية المتعددة الشعوب.

وكانت هناك دعايات صربية قوية بضم الصربيين الموجودين في ولايتي (البوسنة) و (الهرسك) العثمانيتين إلى الدولة الأم (صربيا). ولكن التطورات في الدولة العثمانية أدت إلى ظروف جديدة في هذه القضية. فقد حدث أن قامت في ١٩٠٨ ثورة عسكرية ضد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وضد نظام حكمه الإستبدادي الذي أطمع الدول الكبرى في اقتسام بلاد هذه الدولة، وتزعم هذه الثورة رجال جمعية ثورية عرفت باسم «جمعية الإتحاد والترقي»، وكان أحد أهدافها الرئيسية إعادة الحكم الدستوري في الدولة واعادة سيطرة الأتراك بقوة على مختلف أجزاء الولايات. وفعلا تحركت قطاعات عسكرية قوية يقودها ضباط ينتمون إلى تلك الجمعية، وسيطروا على الحكم منذ تلك السنة وعرفوا باسم (الاتحاديين). وعندما قرر الإتحاديون القيام بثورتهم هذه إتجهوا إلى إعطاء حركتهم شكلاً عاماً، بأن طلبوا من أهالي الولايات . ومنها (البوسنة) و(الهرسك) . إرسال مندوبين عنهم للاجتماع بأعضاء جمعية الاتحاد والترقي. ولكن حكومة الامبراطورية النمساوية كانت قد رأت في تلك الثورة ضد السلطان فرصة ثمينة لضرب عصفورين بحجر واحد.

١ . ضم الولايتين (البوسنة والهرسك) قبل أن يفيق الأتراك من مشاكلهم الثورية الداخلية.

٢ . توجيه ضربة قاصمة للأماني القومية الصربية المتعلقة بهاتين الولايتين، إلا أن تغيير خريطة البلقان على هذا النحو ما كان ليتم إلا بعد أخذ موافقة مسبقة من روسيا.

وكان (اهرنتال) السياسي النمساوي الكبير يدرك تماماً هذه الحقيقة فوضع خطته على أساس استدراج روسيا إلى اعتراف بحق ضم الولايتين (البوسنة) و (الهرسك) ثم فرض الأمر الواقع عليها بحيث لا تستطيع روسيا الإفادة من هذا التغيير. ولهذا دخل في مفاوضات مع (إزفولسكي) . السياسي الروسي – بقصد

تسوية مشكلة ضم (البوسنة والهرسك) إلى النمسا على أساس حصول روسيا على تعويض مناسب. وكان (اهرنتال) من الذكاء لأن يقدم لروسيا موافقة حكومته على مطالب روسية التقليدية الخاصة بحقها في مرور اسطولها الحربي عبر مضايق الدردنيل والبسفور، وكان يدرك أن أعداء روسيا وحلفاءها على السواء . وبوجه خاص – انجلترا لا يمكن أن تقبل تحقيق مثل هذه المطالب. ودبر (إهرنتال) ونفذ خطته بمهارة. فقد دارت هذه المفاوضات دون علم من جانب فرنسا، وفي نفس الوقت اتفق مع ملك بلغاريا . وكان لا يزال تحت السيادة الإسمية لسلطان العثماني . على أن يعلن استقلاله، ولم تلبث أن أعلنت امبراطورية النمسا والمجر فجأة ضم البوسنة والهرسك.

لم يعتبر هذا الضم ضربة موجهة ضد الدولة العثمانية بقدر ما اعتبر ضربة قاسية لمملكة الصرب الفتية في حركتها القومية، وضربة غادرة بروسيا إذ حصلت النمسا على هدفها بينما أصبح على روسيا المطالبة بتنفيذ فكرة التعويض، أبدت حكومة روسيا الكثير من الضجة الدبلوماسية وقليلاً من التهديد العسكري، ولجأت إلى حليفتها القديمة (فرنسا) وإلى صديقتها الجديدة (بريطانيا) ولكن فرنسا رفضت أن تقف إلى جانب روسيا وقفة الحليف لأن روسيا كانت تدبر مع النمسا من وراء ظهرها أموراً كان يجب أن يؤخذ رأيها فيها. أما وقد غدرت حكومة النمسا بروسيا فهذا أمر . من وجهة نظر الدبلوماسية الفرنسية – لا يلزم فرنسا بالوقوف إلى جانب حليفتها روسيا. أما بريطانيا فكان موقفها في هذه المسالة هو نفس موقفها التقليدي خلال القرن الماضي وهو الإبقاء على المضايق مغلقة في وجه الأسطول الحربي الروسي. بينما كان طبيعياً أن تضغط ألمانيا على روسيا كي تكف عن تصعيد الأزمة، وبذلك تكون روسيا قد واجهت هزيمة دبلوماسية في ١٩٠٨ مشابهة لهزيمة ألمانيا في مؤتمر الجزيرة في ١٩٠٦م حقيقة شربت روسيا هذا الكأس المرير ولكن

أدى هذا إلى تأكيد حقيقة جوهرية، هي أن دول التحالف الثلاثي . وإن كسبوا هذه الجولة . أصبحوا يمثلون القوة الحقيقية المهددة لروسيا الأمر الذي زاد من ارتباط روسيا . رغم تقاعس فرنسا بالذات – بحليفتها (فرنسا).

كانت عملية ضم (البوسنة والهرسك) بالنسبة للصرب تعني أن هذين الإقليمين لن ينضما في المستقبل إلى (الصرب الكبرى). فاحتلال النمسا لهما لا يقضي على مثل هذا الأمل، أما ضمهما فبلا شك يقضي عليه. وكان تخاذل روسيا أمام الضغوط الكبيرة التي تعرضت لها من جانب الأصدقاء والأعداء على السواء ضربة ثانية للصرب التي كانت تعول كثيراً على تحرك روسي عنيف ضد النمسا. واستكانت الصرب قليلاً. ولكن كان من العسير جداً على حكومتها أن تتحكم في مشاعرالصربيين، سواء أكان هؤلاء في داخل الامبراطورية النمساوية أم في داخل الصرب نفسها. الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر في تصعيد الأزمات بين الصرب وإمبراطورية النمسا والمجر.

ثانيًا: أزمة أغادير

وكما كان تغيير أوضاع البلقان على يد النمسا والمجر بضم البوسنة والهرسك ـ سبباً في إثارة مشكلة دولية معقدة، كان تغيير الوضع في المغرب (مراكش) على يد فرنسا سبباً في أن تثير ألمانيا (أزمة أغادير) التي رفعت حدة التوتر بين الكتلتين المتواجهتين إلى درجات خطيرة. فلقد كان التسابق البحري والاستعماري على أشده بين ألمانيا وبريطانيا، وفشلت المحاولات التي بذلتها انجلترا لوقف هذا التسابق وذلك لأن بريطانيا أصرت على أن تظل قوتها ضعف أية قوة بحرية تالية لها، ولأن ألمانيا أصرت على عدم التخلي عن الجزء الجنوبي لخط حديد بغداد لبريطانيا إلا إذا وافقت الأخيرة على الوقوف على الحياد من حرب تقع بين ألمانيا وفرنسا.

ولكن كان تحييد بريطانيا في ١٩٠٨ وبعد ذلك يعني خروجها من الوفاق الودي مع كل من فرنسا وروسيا، ومن ثم كانت الأمور كلها تشير إلى صلابة بريطانية إزاء ألمانيا في كافة مجالات التفوق العالمي. كل هذا جعل حكومة ألمانيا تربص بدول الوفاق، وحانت الفرصة لإحراجها بغية هزه من جذوره عندما بعثت فرنسا بقواتها إلى داخل مراكش (المغرب) وكانت حكومة ألمانيا تدرك عن حق أن دخول جيش دولة أوروبية استعمارية بلاداً مثل المغرب يعني وقوع البلاد تحت الإحتلال. وهناك سابقة واضحة وجلية في مصر عندما دخلت جيوش بريطانيا مصر باسم حماية الخديوي توفيق من المتمردين، وكانت عمليات فرنسا في مراكش لا تضر كثيراً بالمصالح الألمانية، إلا أن الحكومة الألمانية كانت تذكر الهزيمة الدبلوماسية المريرة التي منيت بها في مؤتمر الجزيرة عام ١٩٠٦، وتصورت أنها لو تدخلت بعنف ضد إجراءات فرنسا في (مراكش) لربما أحرزت كسباً سياسياً يمحو آثار تلك الهزيمة. خصوصاً وأن اسبانيا رغم تواطئها مع فرنسا على استعباد مراكش .كانت تعارض تلك العمليات العسكرية الفرنسية في داخل تلك البلاد. إلا أن الإجراء الألماني كان عنيفاً إذ أرسلت الحكومة الألمانية المدمرة (البانثر) إلى ميناء أغادير مسيطرة عليه بمدفعيتها لحين التوصل إلى تسوية تعطي تعويضاً مناسباً لألمانيا ، وطالبت ألمانيا فعلاً بكل الكونغو الفرنسي.

قوبل هذا التهديد الألماني بوقفة صلبة قوية من جانب بريطانيا ضد مطالب ألمانيا وإجراءاتها تلك. وبدا واضحاً أن الحرب لو وقعت ستخوضها بريطانيا إلى جانب فرنسا. وتبادل المختصون العسكريون الفرنسيون والإنجليز الخطط العسكرية لمواجهة الأزمة. وبينما كان الشعب الألماني يتصاعد ثورة ضد بريطانيا ويدعو القيصر إلى التصلب، إلا أن القيصر كان يرى أن المسالة تساوي خوض الحرب

الكبرى، وآثر التراجع بقبوله قطعة أرض فقط من الكونغو الفرنسي على أمل أن تفتح له هذه الأرض مجالات واسعة استعمارية في افريقية. وبذلك تكون فرنسا قد خرجت ظافرة مطلقة اليد في المغرب وأعلنت حمايتها عليه في ١٩١٢. وأدت تلك الأزمة إلى نتيجة هامة، وهي أن بريطانيا في علاقتها مع فرنسا تعدت مجال (الوفاق) إلى مجال (التحالف) دون النص على ذلك في معاهدة أو إتفاقية. وخلال هذه الأزمة وفي أعقابها حاولت كل من إيطاليا وروسيا انتهازها لتحقيق توسعات جديدة. فروسيا حاولت مد سيطرتها إلى طهران ولكن المعارضة البريطانية منعتها من تحقيق هدفها. أما إيطاليا فقد أقحمت حرباً على الدولة العثمانية . بعد أن حصلت على اعتراف الدول الكبرى بأن – تستولي ايطاليا على طرابلس – وأنزلت جيوشها على الشواطيء الليبية واستولت عليها وعلى جزر الدوديكانيز واضطرت تركيا إلى وقف الحرب معها بسبب تكوين عصبة البلقان (اليونان والصرب وبلغاريا) لشن حرب على الدولة العثمانية تحت ستار اخراجها من أوروبا وفي الحقيقة لتحقيق توسعات اقليمية وقومية.

ثالثًا:الحروب البلقانية ١٩١١ . ١٩١٣

يوصف البلقان عادة، قبل الحرب العالمية الأولى – بأنه برميل البارود ولقد كان كذلك فعلاً، وكانت مواقف الدول الكبرى إزاء مشكلاته، وسياسات دول البلقان نفسها من التضارب لدرجة كان من العسير تحديد من هو صديق الدول البلقانية ومن هو العدو لهذه الدول الكبرى أو تلك، ولكن كانت الصرب بلا جدال العدو الخطير لإمبراطورية النمسا والمجر في أعقاب أزمة ضم البوسنة والهرسك.

وكانت امبراطورية النمسا والمجر تبحث عن وسيلة تسكت بها إلى الأبد الدعايات النشطة للصرب الكبرى، حتى لقد جربت الحصار الاقتصادي ولكن دون جدوى. ومن ثم أخذ ساسة النمسا يعتقدون يوما بعد يوم أن القوة هي الوسيلة الوحيدة

لقتل فكرة (الصرب الكبرى) وإلا تعرضت الإمبراطورية النمساوية للتفكك. ومع هذا سارت الأمور بشكل يتعارض مع أمن وسلامة هذه الأمبراطورية، خصوصاً من حيث نمو المشاعر القومية في البلقان في أعقاب الثورة التي نشبت في مقدونيا ضد الحكم التركي فيها. فمقدونيا كانت تضم يونان وبلغار وصرب، والتهبت الصحافة بكتابات القوميين في اليونان وبلغاريا وصربيا وأصبحت الفكرة القومية مجالاً للمزايدات الديماجوجية تحثها روح صليبية واضحة.

وإذا ما وضعنا جانباً هذه النعرات القومية الحادة وبحثنا عن امكانية تقسيم مقدونيا بينها لوجدنا أن القوميات في مقدونية كانت متداخلة جداً فيما بينها بحيث تستحيل عملية تقسيم له على أساس قومي الأمر الذي وضع بذور الفوضى في العلاقات بين دول عصبة البلقان التي تشكلت في ١٩١٢ من تحالف صربي بلغاري ثم من تحالف يوناني بلغاري. ومع أن روسيا كانت تشجع تكوين مثل هذه العصبة إلا أنها اكتشفت أن مجرد ظهورها سيؤدي إلى اشتطاطها في التحرك ضد الدولة العثمانية بشكل يهدد أطماعها نفسها في هذه الدولة العثمانية. وحاولت روسيا وكذلك فرنسا أن تحدا من نشاط هذه العصبة ولكن دون جدوى إذ كانت دول العصبة تدرك أن روسيا لا بد وأن تقف بجانبها. هذا فضلاً عن أن هذه المحاولة الروسية لفرض التعقل على عصبة البلقان جاءت في وقت متأخر، إذ لم يلبث أن أعلن الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية وتبعته دول العصبة. كانت العمليات العسكرية التي قامت بها جيوش العصبة ناجحة، ولكنها تمت بشكل أدى إلى قلب الأوضاع السياسية والإستراتيجية بل والدولية بشدة. فقد انتصرت الجيوش الصربية على الأتراك واستولت على موناستير وقلب مقدونيا، بينما كانت بلغاريا تعلق الآمال الكبار على أن تكون هذه من نصيبها هي. ووصلت القوات الصربية في زحفها حتى (دورازو) ، فاستشاطت امبراطورية النمسا والمجر غضباً من حصول الصرب على

منفذ على بحر ايجه؛ وتحت الضغوط النمساوية والايطالية أرغمت الصرب على الانسحاب من دورازو.

كذلك ضغطت النمسا على (الجبل الأسود) حتى تخلى عن اشقودره. وانتصرت القوات اليونانية كذلك واستولت على (سالونيك)، إلا أن هذه كانت أيضاً محط آمال بلغاريا. وسقطعت (ادرنه) بجهد مشترك صربي بلغاري ولكن استمرت القوات البلغارية في زحفها حتى مسافة قليلة من الأستانة، فتحركت روسيا، التي لا تقبل أن تكون المضايق بيد دولة أوروبية أخرى صغيرة كانت أم كبيرة صديقة كانت أم عدوة، وضغطت على بلغاريا حتى استبعدت هذه فكرة استمرار الزحف صوب العاصمة العثمانية. هذه الانتصارات، وتلك التدخلات الفورية من جانب الدولتين الكبيرتين المعنيتين بالبلقان، ورغبة الدول الكبرى في إحلال السلام قبل ان تختلط الأوراق بعضها ببعض، أدى إلى عقد صلح بين الدولة العثمانية ودول البلقان الأربع. ولا تكاد تمر إلا فترة وجيزة للغاية حتى شرعت دول العصبة في إعادة النظر فيما حصلت عليه. وكانت بلغاريا شديدة النقمة على ما انتهت إليه الأمور فقد كسبت كل من اليونان والصرب مساحات واسعة تضم أعداداً كبيرة من النفوس، وهذه الرعية الجديدة ليست يونانية ولا صربية فقط بل بلغارية كذلك.

وكان استخلاص هؤلاء البلغار لا يمكن أن يتم إلا بقوة السلاح، ولهذا اعتمد ملك بلغاريا على مفاجأة الصرب بهجوم كاسح ليستولي على «قلب مقدونيا» ولكن الصرب كانت على تفاهم تام مع اليونان ضد بلغاريا. فدخلت اليونان – إلى جنب العرب – الحرب ضد بلغاريا، وهزمت الجيوش البلغارية ولكن الأدهى من ذلك انتهاز رومانيا الفرصة ودخولها الحرب ضد بلغاريا وزحفت جيوشها حتى هددت صوفيا نفسها، واستطاع كذلك (أنور باشا) . الذي تسلم زمام الأمور في الأستانة على اثر انقلاب عسكري جديد – من استخلاص (أدرنه) بسهولة. واسقط في يد البلغار

واضطروا إلى عقد معاهدة بوخارست ١٩١٣/٨/١٠ ربحت رومانيا في هذه المعاهدة إقليم (سلستريا) إلى جانب الجزء الجنوبي من (دبروجه) مع أن غالبية سكانه من البلغار. وحصلت اليونان على جنوب مقدونيا وأغلقت بذلك المنافذ البحرية في وجه بلغاريا، هذا بالإضافة إلى كريت التي أعلنت الثورة على الدولة العثمانية وانضمت إلى اليونان. وظهرت دولة مستقلة جديدة هي البانيا لا حباً في استقلالها ولكن منعا للصرب من الوصول إلى البحر الأدرياتي وهو أمر كانت تقاومه بشدة كل من امبراطورية النمسا والمجر وإيطاليا. والجدير بالذكر أنه خلال هذه الأزمات البلقانية كان ينعقد في لندن مؤتمر (١٩١٢ . ١٩١٣) يسعى إلى إيجاد تسوية معقولة، فكان آخر مؤتمر دولي ينظر في قضية السلام في أوروبا وكان أكثر المؤتمرات الأوروبية فشلا، ومن ثم كان تأكيداً على أن الجيوش هي القادرة على تسوية المشاكل.

أدت هذه الحرب البلقانية إلى نتائج وتطورات ستقود إلى الحرب العالمية الأولى، وأهمها:

١ . خرجت بلغاريا مهيضة الجناح دون أن تحرك روسيا لإنقاذها، بل إن النمسا هي التي وقفت إلى حد ما، إلى جانبها، ولهذا أصبحت العلاقات البلغارية الروسية غير ودية.

٢ . كانت حكومة الإتحاديين في الأستانة تميل إلى ألمانيا ، وبعد الحرب البلقانية أصبحت أكثر ميلاً إليها وأكثر استعداداً لإعادة تنظيم القوات المسلحة البرية التركية بواسطة خبراء ألمان عسكريين بل طلب الإتحاديون من ألمانيا إرسال قائد كبير يتولى قيادة الجيش التركي في الآستانة. فأثار ذلك مخاوف من جانب روسيا أن تتحكم ألمانيا بالتدريج على المضايق وطالبت بسحب ليمان فون ساندرس المكلف بتلك المهمة إلا أن بريطانيا لم تؤيد روسيا في طلبها هذا حيث كان في الأستانة قائد بريطاني يتولى إعادة تنظيم البحرية العثمانية وانتهت المفاوضات الخاصة بهذه

المشكلة إلى تسوية في ديسمبر ١٩١٣، تولى بمقتضاها «ليمان فون ساندرس» رئاسة هيئة أركان الجيش التركي في الأستانة، متخليا بذلك عن القيادة التي كانت في حقيقة الأمر عبئاً يصعب عليه القيام به ومع هذا فكانت ألمانيا تدرك أن الدولة العثمانية – مجال ألمانيا الحيوي معرضة للانهيار من الداخل وليس من الخارج فقط. فقد كانت الحركة التحررية تشتد في كل من الشام والعراق، ومع أن مؤتمر باريس الذي عقده زعماء العرب في ١٩١٣ أدى إلى تفاهم عربي تركي إلا أن التطورات أثبتت أن سياسة الأتراك نحو العرب لم تتغير، وظلت المشكلات على ما هي : لم تشتد في تعقيداتها.

٣ . أدت هزيمة الدولة العثمانية أمام الدول البلقانية وتصاعد المشكلات القومية في هذه الدولة عليه العثمانية إلى زيادة في تشتيت القوات العسكرية لامبراطورية النمسا والمجر حيث أصبح عليها أن تحتفظ بجيش كبير يراقب مواقف الدول البلقانية السريعة التقلب الأمر الذي يحول دون أن تلقي هذه الامبراطورية بكل جيوشها ضد روسيا في حالة وقوع حرب معها. هذا بينما زتد التقارب بين دول الوفاق الثلاثي: روسيا وبريطانيا وفرنسا، وكان هذا التقارب يزداد قوة كلما اشتدت حمى التسابق البحري بين بريطانيا وألمانيا .

ودارت مفاوضات حربية بحرية بين روسيا وبريطانيا، وبين بريطانيا وفرنسا وكان أهم ما توصلت إليه بريطانيا هو اتفاقها مع فرنسا على أن تتولى البحرية الفرنسية السيطرة على مياه البحر المتوسط وتتولى البحرية البريطانية بعد سحب قطعها من البحر المتوسط – السيطرة على بحر الشمال والدفاع عن سواحل فرنسا الشمالية. وكانت الصحافة من المظاهر التي كانت تزيد من هذا التقارب بين دول الوفاق والتي تعمق العداء بينها وبين دول الحلف الثلاثي. فقد كانت المقالات الصحفية النارية في الصحف الألمانية ضد روسيا وبريطانيا وفرنسا تقابلها مقالات

لا تقل عنها عنفاً في صحف هذه الدول، الأمر الذي عمق الكراهية بين الشعوب فضلاً عما كان بين الحكومات من بغضاء. خلال السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى كانت أعصاب الساسة والشعوب المثقفة مشدودة بسبب الأزمات التي عرضت السلام للإنهيار.

وفي كل مرة بعد انتهاء كل أزمة كانت النفوس تزداد قلقاً بسبب تصاعد الحرب الصحفية والمنافسات السياسية والاقتصادية بين الكتلتين الكبيرتين: دول الوفاق (روسيا وفرنسا وبريطانيا) من جهة وبين ألمانيا وامبراطورية النمسا والمجر من جهة أخرى، وأما ايطاليا فلم يكن لها الدور الكبير في هذه المنافسات بسبب ارتباطاتها المتوازية مع كل من الكتلتين، ولهذا أصبحت الكتلة الثانية قاصرة تقريباً . في واقع الأمر . على ألمانيا وامبراطورية النمسا والمجر وكان السؤال المحير الوارد على لسان الساسة والمسؤولين والصحفيين هو أي من الكتلتين أقوى. وكان هناك اعتقاد عام أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لكشف هذه الحقيقة الخطيرة، وأصبحت مهام أركان حرب هذه الدول هي الإعداد لحرب مقبلة قريبة ومن ثم لم تعد أوروبا قادرة على أن توحد كلمتها إزاء مشكلة من المشكلات الحادة الدولية على ذلك النحو الذي حدث عند عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨ والخاص بالمشكلة الشرقية، ومؤتمر برلين لسنتي ١٨٨٤ – ١٨٨٥ بشأن مشكلة استعمار افريقية.

ويعتبر مؤتمر الجزيرة ١٩٠٦ واحداً من المؤتمرات التي كان لأوروبا فيه كلمة متفق عليها بغض النظر عن خطورة النتائج التي أدى إليه هذا المؤتمر، وأخيراً عقد مؤتمر لندن في ١٩١٢ للبحث عن حل للمشكلة البلقانية، ولكن لم يستطع هذا المؤتمر الوصول إلى قرار ما وهكذا كانت قدرة أوروبا على مواجهة الأحداث الكبرى عن طريق المؤتمرات الدولية تتناقص بسرعة حتى تلاشت وأصبح السلاح هو الوسيلة الباقية لحسم المشكلات. هذه المشاعر الحادة كانت المسؤول الأول عن فشل

الدعوات التي وجهت إلى ساسة العالم للوصول إلى سلم دائم عن طريق مؤتمر سلام دولي.

فلقد دعا قيصر روسيا إلى مؤتمر سلام في ١٨٩٩ م وكان الدافع الحقيقي لدعوته هو إعطاء فرصة لروسيا الضعيفة لتقوي نفسها في الوقت الذي يجمد فيه القوات المسلحة في الدول الكبرى الأخرى، وفشلت فكرة عقد هذا المؤتمر لأن الدول الأوروبية كانت سيئة الظن بشدة في نيات روسيا من وراء هذه الدعوة. وجاءت الدعوة الثانية في ١٩٠٧ م على لسان تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن قضت عليها بريطانيا لأنها كانت تمتلك قوة بحرية كافية لضمان أمنها وسلامة خطوط مواصلاتها مع امبراطوريتها ومختلف أجزاء العالم. ولم تستمتع الحكومة البريطانية إلى الانتقادات الشديدة التي وجهتها كل من حكومتي واشنجتن وبرلين بسبب هذا التصلب. إذ كان مركز بريطانيا قوي إلى حد كبير في ١٩٠٧ عنه في السنوات القليلة السابقة.

وتصاعدت سياسة التسليح في دول الوفاق الثلاثي وفي امبراطوريتي ألمانيا والنمسا والمجر بشكل يفوق نمو تسليحها فيما سبق، حتى غدا شبح الحرب ماثلاً أمام الأعين حيث كانت الحكومات الديمقراطية حين تسعى إلى كسب موافقة برلماناتها على اعتمادات التسلح تضخم من خطر وقوع حرب كبرى قريبة، وكانت مراسم القياصرة في ألمانيا والنمسا وروروسيا تؤكد على الحاجة الملحة لمواجهة ظروف استثنائية دولية. هذا فضلاً عن الخطب النارية للسياسيين والمقالات الصحفية المهيجة للمشاعر القومية، والملاحظ أنه خلال ١٩١٣ أصدرت الدول الكبرى المتنافسة قرارات ومراسيم بقصد زيادة القوات المسلحة زيادة كبيرة، فبالنسبة لألمانيا صدر القانون في ١٤ يناير ١٩١٣، وبالنسبة لامبراطورية النمسا والمجر في أواخر ١٩١٣ صدر القانون الفرنسي في ٧ أغسطس – آب ١٩١٣ وصدر مشروع

إعادة تنظيم الجيش الروسي في أواخر ١٩١٣، وظهرت الدعوة إلى التجنيد الإجباري في بريطانيا في ١٩١١، ١٩١٢ ولكن الحكومة البريطانية ركزت على زيادة قوتها البحرية المسلحة زيادة كبيرة.

رابعًا: مصرع ولي عهد النمسا

وأخطر نتائج الحرب البلقانية هو نمو صربيا أرضاً وسكانا واشتداد الحركة القومية الصربية والتهابها سواء داخل الصرب أو بين الأقلية الصربية الكبيرة الواقعة تحت حكم امبراطورية النمسا والمجر. وكان الطلبة هنا وهناك يشنون حملة دعاية عنيفة من أجل توحيد الصربيين كلهم تحت حكومة وطنية واحدة وكان ان تشكلت في داخل امبراطورية النمسا والمجر عدة جمعيات سرية ارهابية تولت القيام بعدة عمليات اغتيال لحكام البوسنة ولغيرهم من المسؤولين عن اخضاع الصرب تحت هذه الامبراطورية، وكان اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند ولي عهد النمسا وزوجته في سيراييفو في ٢٨ يونيو – حزيران ١٩١٤ وكان ولي العهد من أكثر سياسيي النمسا تشدداً ازاء المشكلة الصربية ويرى أنه لا يمكن تسويتها إلا بالقوى المسلحة. وكانت هذه الحادثة هي التي بدأت التطورات التي أدت في النهاية إلى وقوع الحرب الالمية الأولى.

خامسًا: الدول المشاركة في الحرب العالمية الاولى

كانت حادثة اغتيال ولي عهد النمسا أقصى ما يمكن أن تتحمله النمسا وأصبح من الضروري أن تلقى الصرب جزاء دعاياتها العدوانية ضد جارتها الكبيرة، وإلا إذا مرت الحادثة بحصول النمسا على اعتذار دبلوماسي أو حل سياسي فقط فإن ذلك سيعتبر إذلالاً كبيراً جديداً لكرامة الامبراطور وشعبه. ولقد كانت فكرة الوصول إلى تسوية دبلوماسية واردة عند مختلف الأوساط الأوروبية السياسية،

وكذلك كانت لديهم فكرة حصر الأزمة الجديدة بين النمسا والصرب فقط ومنع تصاعدها أو دخول أطراف جدد فيها. إلا أن ظروف النمسا كانت لا تسمح بمثل هذه الخطوات أو التسويات، فالتسوية السلمية أصبحت بالنسبة لها مجرد تسكين لأزمة مستعصية لا بد وأن تنفجر يوما ما، وبعد وقت قصير طالما المسبب لها كان لا يزال يتمتع بكامل قواه، ونعني بذلك دولة الصرب، فهل كان من الممكن حصر الأزمة بين هذين الطرفين: النمسا والصرب ومنع انحدارالعالم إلى حرب كبرى كانت ماثلة فعلاً أمام الأعين.

كانت النمسا قد عقدت العزم على أن توجه إلى الصرب الضربة التي كان يتوق فرانز فرديناند – في حياته . أن يوجهها إليها. وكانت الصرب تدرك ذلك، والتزمت جانب الحذر الشديد ونفت عن نفسها مسؤولية مصرع فرانز فرديناند وزوجته، وفضلاً عن هذا أثبتت التحقيقات النمساوية نفسها براءة الصرب من هذه الجريمة، ولكن لم يلق ذلك كله صدى في الدوائر النمساوية، واستمرت في خطواتها العنيفة ضد الصرب وكان يتولى هذه العمليات السياسي العنيد برشتولد وزير خارجية النمسا، تؤيده فيها حكومة ألمانيا . وكانت أولى هذه الخطوات الإنذار الذي بعثت به حكومة المملكة الثنائية إلى الصرب في ٢٣ يوليو . تموز ١٩١٤.

وكانت مواد هذا الإنذار تعي ببساطة تدخل حكومة النمسا في أدق الشئون الداخلية الصربية مثل حل الجمعيات الوطنية، ومنع أية دعاية مكتوبة أو مذاعة سواء في الصحافة أو المدارس وإبعاد الموظفين الذين أعلنوا كراهيتهم للمملكة الثنائية (النمسا والمجر)، إلى غير هذا من الأمور التي تكاد تفقد الصرب إستقلالها. ومع أن الحكومة الصربية وافقت على عدد كبير من مواد الإنذار النمساوي إلا أن حكومة فيينا أعلنت الحرب عليها في ٢٨ يوليو ١٩١٤. كان هذا في نظر الصرب عملية سحق لها، وتطلعت بسرعة إلى منقذ لها، وكانت روسيا

مستعدة للقيام بهذا الدور لأنها كانت لا تقبل بأي حال من الأحوال سحق الصرب على يد النمسا لما سيترتب عن ذلك من تسلط نمساوي على البلقان. أما وقد أصبحت المملكة الثنائية معرضة لحرب ضد الصرب وروسيا، وبالتالي ضد فرنسا حليفة روسيا فإن ألمانيا ما كانت لتقبل إنهيار حليفتها (المملكة الثنائية) أمام أعدائها.

ومع هذا كانت هناك مجهودات ذات قيمة بذلتها حكومة فرنسا لكبح جماح روسيا، وبذلتها ألمانيا لتهدىء من روع المملكة الثنائية. كذلك رفضت حكومة بريطانيا أن تعلن التزامها بالوقوف عسكرياً إلى جانب فرنسا إذ ما تطورت الأحداث إلى حرب بين الكتلتين. ولكن روسيا رفضت نصيحة فرنسا بأن يقتصر توجيه تعبئتها العامة ضد المملكة الثنائية، بل إن روسيا وجهتها أيضاً ضد ألمانيا، وفرضت بذلك الأمر الواقع على فرنسا، فإما أن تقف إلى جانب حليفتها . وإما أن تترك روسيا في الميدان وحدها الأمر الذي يعرض روسيا لهزيمة ساحقة تكون نتائجها على فرنسا في منتهى الخطورة.

وكان أن توالت الأحداث بسرعة وأخذت الدول الأربع الكبرى المتعادية: روسيا وفرنسا والمملكة الثنائية وألمانيا تتبادل التهم والتعبئة العامة حتى أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا في اول أغسطس ١٩١٤ ، وعلى فرنسا في ٣ أغسطس ولم يبق من الكتلتين خارجاً عن الحرب الكبرى سوى بريطانيا وإيطاليا ولكن بريطانيا كانت في نفس الوقت تتخذ خطوات خطيرة معادية لألمانيا ومساندة لفرنسا. فقد حشدت أسطولها في بحر الشمال ووعدت فرنسا بأن هذا الأسطول سيمنع أي هجوم ألماني على السواحل الفرنسية. ويركز المؤرخون الإنجليز على أن الحكومة البريطانية . وكانت برئاسة جرأي – ما كانت لتدخل الحرب إذا ما وقفت الأمور بالنسبة لبريطانيا عند هذا الحد، وأن ألمانيا هي التي أعطت الذريعة لها بدخول الحرب حين اعتدت

على حيادة البلجيك عندما زحفت الجيوش الألمانية لغزو فرنسا على اعتبار أن هذا العدوان هو الذي حرك الرأي العام البريطاني نحو إعلان الحرب على ألمانيا .

وتقول وجهة النظر البريطانية في أسباب دخول إنجلترا الحرب أن مصالح بريطانيا: «مرتبطة بمصالح روسيا وفرنسا في هذا النزاع الذي يقوم من أجل الإستيلاء على الصرب، ولكنه نزاع بين ألمانيا التي تريد فرض دكتاتورية سياسية . في أوروبا وبين الدول التي تريد استعادة الحرية الفردية».

وفي اعتقادنا أن بريطانيا كان لديها فعلا الذريعة التي يمكن أن تتذرع بها لتجنب المشاركة في الحرب عند نشوبها، فتصبح قادرة على الرؤية الصحيحة وتحديد خططها بشكل أدق ؛ يخدم – مصالحها الخاصة أولاً. فالوفاق الودي لا يلزم بريطانيا بالدخول في الحرب إلى جانب فرنسا. والأمور التي جلت بريطانيا تدخل الحرب عقب اجتياح الجيوش الألمانية الحدود البلجيكية:

١ . إن الدفاع الفرنسي لا بد وأن ينهار إذا ما تركت فرنسا وحدها في هذه الظروف الجديدة.

٢ . إن دولاً أخرى قد تتشجع وتدخل الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا الأمر الذي يعرض الإمبراطورية البريطانية لخطر شديد.

أما مسالة حرية البلجيك وحياده، والدفاع عن حرية الفرد ضد الدكتاتورية وإيطاليا ولكن بريطانيا كانت في نفس الوقت تتخذ خطوات خطيرة معادية لألمانيا ومساندة لفرنسا، فقد حشدت أسطولها في بحر الشمال ووعدت فرنسا بأن هذا الأسطول سيمنع أي هجوم ألماني على السواحل الفرنسية. ويركز المؤرخون الإنجليز على أن الحكومة البريطانية وكانت برئاسة جرأي ما كانت لتدخل الحرب إذا ما وقفت الأمور بالنسبة لبريطانيا عند هذا الحد، وأن ألمانيا هي التي أعطت الذريعة لها

بدخول الحرب حين اعتدت على حيادة البلجيك عندما زحفت الجيوش الألمانية لغزو فرنسا على اعتبار أن هذا العدوان هو الذي حرك الرأي العام البريطاني نحو إعلان الحرب على ألمانيا .

وتقول وجهة النظر البريطانية في أسباب دخول إنجلترا الحرب أن مصالح بريطانيا مرتبطة بمصالح روسيا وفرنسا في هذا النزاع الذي يقوم من أجل الإستيلاء على الصرب، ولكنه نزاع بين ألمانيا التي تريد فرض دكتاتورية سياسية . في أوروبا وبين الدول التي تريد استعادة الحرية الفردية».

وفي اعتقادنا أن بريطانيا كان لديها فعلا الذريعة التي يمكن أن تتذرع بها لتجنب المشاركة في الحرب عند نشوبها، فتصبح قادرة على الرؤية الصحيحة وتحديد خططها بشكل أدق ؛ يخدم – مصالحها الخاصة أولاً، فالوفاق الودي لا يلزم بريطانيا بالدخول في الحرب إلى جانب فرنسا. والأمور التي جلت بريطانيا تدخل الحرب عقب اجتياح الجيوش الألمانية الحدود البلجيكية:

١-. إن الدفاع الفرنسي لا بد وأن ينهار إذا ما تركت فرنسا وحدها في هذه الظروف الجديدة.

٢- إن دولاً أخرى قد تتشجع وتدخل الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا الأمر الذي يعرض الإمبراطورية البريطانية لخطر شديد.

أما مسالة حرية البلجيك وحياده، والدفاع عن حرية الفرد ضد الدكتاتورية وهي: بوليفيا، بيرو، أورجواي، أكوادور، وبالنسبة للدول الآسيوية الأفريقية، شاركت بطبيعة الحال مختلف أجزاء الإمبراطورية البريطانية والفرنسية في الحرب، وأعلنت سيام (تايلاند) الحرب على دولتي الوسط في يوليو ١٩١٧، كما أعلنتها ليبيريا والصين في أغسطس ١٩١٧.

الفصل الثالث

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨

- الوضع الدولى قبل نشوب الحرب.

- مسار الحرب

- الجيش الفرنسي

- الجيش البريطاني

- الجيش الأمريكى

نتائج الحرب العالمية الأولى

- معاهدة فرساى ١٩١٩م

خلال ثمانية أيام، تمتد من نهاية يوليو إلى مطالع أغسطس ١٩١٤، دخلت القوى الكبرى في أوروبا، أي النمسا – المجر وألمانيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا العظمى، الصراع الذي نعرفه باسم الحرب العالمية الأولى، وقد أدهش النطاق الذي بلغته الحرب وكلفتها الكثير من الأوروبيين، إلا أن قلة من رجال الدولة في القارة الأوروبية أو أولئك الذين كانوا على اطلاع بالأحداث من شعوبها العديدة، شعرت تماماً بالدهشة لاندلاع الأعمال الحربية.

فقد كان للنزاعات بين هذه الدول القوية والكبيرة جذور عميقة، إذ نجمت الكثير من التوترات جراء ظهور أمة قوية في وسط القارة، كما أدى النصر الذي حققته الولايات الألمانية بقيادة أوتو فون بسمارك في بروسيا، على فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية عامي ١٨٧٠– ١٨٧١م إلى ظهور ألمانيا الموحدة كما أنه خلق حالة من التوتر الدائم بين فرنسا المتواضعة القدرات فجأة، وجارتها القوية حديثاً. وقد بلغ الإذلال الفرنسي ذروته بحصول ألمانيا على مطلبها بالسيطرة على مناطق الحدود الاستراتيجية والتي تشمل كامل مقاطعة الإلزاس، وجزءاً من اللورين، كما ألقى ظهور ألمانيا السريع كقوة رائدة في القارة بظلاله أيضاً على المصالح البريطانية.

فقد لعب الألمان دوراً قيادياً في التجارة الدولية والمسائل الاستعمارية تعد الأساس بالنسبة إلى رجال الدولة البريطانيين وتدهورت العلاقات بشكل حاد، خصوصاً عندما تدخل الألمان في مجال المصالح البريطانية في جنوب التي حجر أفريقيا وقوف برلين علناً إلى جانب أعداء بريطانيا من البوير قبل حرب البوير وخلالها، ما بين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٢، وإضافة لعوامل أخرى، وضع بناء ألمانيا لأسطول على مستوى عال معتمداً على البوارج الحربية، الحكومة في برلين في حالة خلاف مع نظيرتها في لندن، فقد بدا أن مثل هذا الأسطول الذي احتوى

على أكثر السفن قوة في ذلك العصر قدر له مواجهة أسطول بريطانيا الكبير في بحر الشمال، وعلاوة على ذلك، فإن إمكانية سيطرة الألمان على الممرات البحرية حول بريطانيا وبالتالي تهديد إمدادات الغذاء للجزيرة، جعل العداوة أمراً مرجحاً، إن لم يكن في واقع الأمرحتمياً.

كما أن الأخطار الناجمة عن الطموحات الألمانية كانت تقابلها الصراعات المستعصية في أماكن أخرى، فقد واجهت النمسا – المجر العداء الروسي عندما انهارت السيطرة العثمانية التركية على منطقة البلقان خالقةً فراغاً في السلطة تورطت فيه كلتا الدولتين، وكان للنمسا – المجر أسباب قاهرة للتدخل هنا خوفاً على وجودها، وذلك الأن ولايات بلقانية مثل مملكة صربيا لمت بشكل كبير على حساب المصالح التركية، ولأن عشرات الجنسيات كانت تعيش في تلك الدولة بمن فيهم الصرب، فإنها خشيت على نفسها من الانهيار إذا ما فكر السكان الصرب وسكان المناطق الجنوبية الذين يقطنوها في الانفصال والانضمام إلى مملكة صربيا ارتسم سيناريو كابوسي في فيينا أن المجموعات العرقية الأخرى الساخطة في النمسا – المجر ستتجرأ هي الأخرى على الانفصال، كانت روسيا بالمثل جاهزة للتدخل في الشؤون البلقانية، إذ أخذت القوة السلافية العملاقة في أوروبا الشرقية على عاتقها دور الراعي والحليف لصربيا، كما رغبت روسيا في تأكيد مكانتها كقوة عظمى وكانت منافسة النمسا على النفوذ في منطقة البلقان الطريقة الأكثر ترجيحاً التي يمكن أن تقوم بذلك من خلالها، كما زادت الروابط الثقافية والدينية الروسية مع الصرب اللتان اشتركتا في الانتماء للمسيحية الشرقية الأرثوذكسية، من مصالح سان بطرسبرج السياسية في المنطقة، وبالتالي لا يمكن أن يحدث أي تحرك نمساوي من دون المغامرة برد فعل روسي جاد وخطير.

هدّدت الأزمات التي وقعت في منطقة واحدة من أوروبا بالانتشار، كما أدّى تطور أنظمة التحالف التي نسجت في عقود ما قبل الحرب اندلاع النزاعات المحلية أمراً غير محتمل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التفاهمات غير الرسمية التي ربطت أمن دولة واحدة بالأخرى، وبالتالي كان لدى النمسا المجر معاهدة رسمية تربطهما بألمانيا، وبالمثل ارتبطت فرنسا وروسيا، بيد أن التهديد الألماني المتصاعد جعل بريطانيا العظمى حليفاً محتملاً – وإن لم يكن رسمياً بعد لفرنسا وروسيا.

وقد أدّت أحداث بعينها في العقد الذي سبق العام ١٩١٤ إلى زيادة صعوبة إدارة التوترات أكثر فأكثر، فقد ساهمت ألمانيا المتعالية بوقوع أزمتين واحدة عام ١٩٠٥ والثانية عام ١٩١١ حول الجهود الفرنسية لإحكام سيطرتها على المغرب. وتلك المنطقة كان ينظر إليها على أنها منطقة نفوذ فرنسية، بيد أن الألمان رغبوا في عرقلة السياسة الفرنسية وبالتالي تأكيد دورهم في الشؤون الدولية، وبشكل أكثر تحديداً، كان الألمان يحاولون قطع العلاقات بين بريطانيا وفرنسا، وعزل جارهم المعادي إلى الغرب وفي كلتا الحالتين جاء الأثر عكسياً، ففي الأزمة الأولى، قدمت بريطانيا دعماً دبلوماسياً لفرنسا في مواجهة الضغوط الألمانية وكانت الأزمة التي بدأت في ١٩١١ الأكثر خطورة بين الأزمتين، فقد أثار دفع ألمانيا بزورق حربي إلى ميناء مغربي تعهد بريطانيا الرسمي بالوقوف إلى جانب فرنسا حتى في حالة الحرب ووجدت ألمانيا المهانة نفسها مضطرة إلى التراجع.

ومنذ بداية ١٩٠٧ هددت أزمات البلقان بجلب روسيا والنمسا – المجر إلى المجابهة المباشرة، وساعدت المبادرات التي قام بها الدبلوماسيون الروس على بدء حربين في منطقة البلقان في ١٩١٢ و ١٩١٣ ، وأدى ذلك إلى نزع السيطرة التركية من جميع مناطق البلقان باستثناء منطقة صغيرة جداً. ونجحت سلسلة من المؤتمرات

الدولية في وضع حدود جديدة لدول المنطقة. ولكن حالة عدم الاستقرار بقيت سائدة كما انسجمت عداوة الكثير من الصربيين نحو النمسا – المجر مع تصميم حزب الحر فيينا على مسح مملكة الصرب عن الخارطة. بذل كل من البريطانيين والألمان جهداً لوضع حد لسباق التسلح البحري وذلك عندما قام وزير الحرب البريطاني ريتشارد هالدن بزيارة برلين عام ١٩١٢، فقد أمل هالدن الذرب باللغة الألمانية لأنه تلقى تعليمه هناك، التقليل من حدة التوترات مدركاً أن تحجيم بناء الأسطول البحري قد يحسّن العلاقات الألمانية الإنجليزية، إضافة إلى تخفيف العبء المالي الثقيل الذي فرضه سباق التسلح البحري على كاهل البلدين، ولكن المهمة أخفقت، واستمر سباق التسلح البحري، وتعمقت الشكوك المتبادلة بين الطرفين.

وفي ظل هذا الجو المتقلب كان يمكن لحادثة مؤسفة واحدة أن تشعل الحرب في أوروبا. فكان اغتيال الأرشيدوق فرانز فيردناند، وريث عرش النمسا – المجر، على يد الوطنيين الصرب في ٢٨ يوليو عام ١٩١٤ الشرارة التي أشعلت الانفجار، إذ لقي تصميم النمسا – المجر على المضي قدماً نحو الحرب مع صربيا دعماً وتأييداً ألمانيين، فتحركت روسيا للدفاع عن صربيا، ووجهت فينا إنذاراً نهائياً لمملكة صربيا في الثالث والعشرين من يوليو – وهو الإنذار الذي رأى النمساويون أنه لا يوجد أي سبب يحمل الصرب على قبوله فبدأت إعلانات الحرب تنطلق الواحدة تلو الأخرى النمسا – المجر ضد صربيا في الثامن والعشرين من يوليو، وألمانيا ضد روسيا في الأول من أغسطس، وألمانيا ضد فرنسا في الثالث من أغسطس وبريطانيا ضد ألمانيا في الرابع من أغسطس.

ولكن ماذا كانت توقعات المشاركين في الحرب الذين وجدوا أنفسهم في الحال غارقين في صراع مميت على الجبهة الغربية وفي أماكن أخرى لعقود من النمو المطرد وفي كثير من الأحيان ، زود النمو الصناعي كلاً من ألمانيا وفرنسا

وبريطانيا بالقدرة على شن حرب على نطاق واسع وغير مسبوق، فقد استطاعت هذه الدول حشد جيوش تُعد بملايين الرجال، كما تمكنت من تجهيز أولئك الجنود بكميات غير محدودة من الأسلحة الفتاكة والتي تراوحت ما بين البنادق والرشاشات إلى المدفعية التي وصلت لدرجة من الحجم والخطورة لم يسبق لها مثيل. كما جند العلماء والفنيون في جميع هذه الدول لاختراع أدوات دمار جديدة.

مسار الحرب

بدأت الحرب في أغسطس ١٩١٤ بهجوم ألماني كبير على الجبهة الغربية حيث شقت جيوش القيصر فيلهلم طريقها عبر بلجيكا وشمال شرق فرنسا، وتوغلت حتى بلغت مشارف باريس تماماً مثلما فعل قادة جيوش نابليون في القرن الماضي وقد أمل الألمان بتدمير قوات العدو في حملة واحدة ضخمة، تسيطر من خلالها على عاصمته وتتفرج عليه وهو يتوسل السلام ولكن الألمان لم يكونوا بمفردهم، فقد بدأ الفرنسيون الحرب أيضاً بهجوم على الأراضي الألمانية، تلك الأجزاء من اللورين التي كان الألمان قد استولوا عليها من الفرنسيين في عام ١٨٧١.

غير أن أياً من الخطتين لم يلق النجاح فقد انتهى الهجوم الفرنسي بفشل كما أوقف الهجوم المضاد الناجح للقوات الفرنسية والبريطانية زحف القوات الألمانية، فقد اندفعت الجيوش المتحاربة تجاه الشمال لتطويق الجانب الآخر واستعادة زمام المبادرة، ولكن لم تستطع القوات الإنجليزية الفرنسية ولا القوات الألمانية التحرك بالسرعة الكافية لضعضعة دفاعات العدو، ومع نهاية عام ١٩١٤ استقرت الحرب على الجبهة الغربية على مواجهات بين ملايين الجنود، وسرعان ما تعززت بملايين أخرى. كما احتدم الصراع في شرق أوروبا وفي نهاية المطاف امتد ليصل إلى سواحل الصين، وجزر المحيط الهادئ والشرق الأوسط وأفريقيا،واضطرت ألمانيا لخوض صراع كبير مع روسيا على الجبهة الشرقية. ومع ذلك حشد الأعداء

الرئيسون من وسط أوروبا وغربها – بريطانيا وفرنسا وألمانيا معظم قواتهم المسلحة على الجبهة الغربية. في بادئ الأمر بدأت الحرب في البحر بعيداً عن أوروبا ولكن سرعان ما تركزت في مياه بحر الشمال وشرق المحيط الأطلسي، وعندما بدأت الحرب الجوية شهدت سماء شمال غرب أوروبا أكبر المعارك أيضاً.

ومع بداية عام ١٩١٥ أسبغت الهجمات التي شنها الفرنسيون لطرد الألمان من الأراضي كانوا قد احتلوها في الخريف الماضي، على الجبهة الغربية طابعاً مروعاً وأصبح نمط الهجمات واضحاً بشكل مشؤوم، كما اصطدمت هجمات المشاة الضخمة، التي مُهد لها بأكبر قدر ممكن من نيران المدفعية التي يستطيع المهاجم أن يُجمعها بخطوط دفاعات العدو، وكان من المفترض أن تضعف نيران المدفعية دفاعات العدو في هذه الحالة الدفاعات الألمانية ولكن استرعى هذا القصف انتباهه واحتياطاته لهجوم قادم. وبالتالي أخفقت تلك الهجمات لأن الخطوط الدفاعية اشتملت على خنادق محمية بأسلاك شائكة وممتلئة بالجنود المزودين بالبنادق والمدافع الرشاشة السريعة ولم تسفر هذه الهجمات إلا عن أعداد مروعة من الضحايا.

دخلت أسلحة جديدة مسرح الأحداث لأن كلا الجانبين ضاق ذرعاً بحالة الجمود التي سيطرت على الموقف واستخدم كلا الجانبين الغاز السام بدءا من عام ١٩١٥ء وظهرت الدبابات لأول مرة في ساحات القتال في عام ١٩١٦، وتحولت الطائرة من أداة استطلاع هشة إلى جزء من أسطول جوي كبير وبدأت تلك الأسراب تتنافس على سماء ساحة المعركة بقوة جوية معادية متكافئة كما استخدم الألمان السفن الجوية ومناطيد زبلن في ١٩١٦ وفي العام التالي بدأت الطائرات القاذفة بقصف فرديناند زبلن هو ضابط في الجيش الألماني بدأ في تطوير أفكاره بشأن السفن الجوية في عام ١٨٩٧، وتم قبولها الخدمة الجيش في مارس ١٩٠٩، وطورت

في العام ١٩١٤ حيث وصلت سرعتها القصوى إلى ١٣٦كم في الساعة و كان بمقدورها حمل خمسة مدافع رشاشة و ٢٠٠٠ كغم من القنابل.

وردّ الخلفاء بالطريقة نفسها عانت القوات الفرنسية أكبر قدر من خسائر الحرب بسبب الهجمات البرية العقيمة التي شنتها في عام ١٩١٥، كما شهد البريطانيون والألمان القدر نفسه من الخسائر في عام ١٩١٦. وتخلت القيادة الألمانية العليا، بقيادة المارشال إريك فون فالكينهن، عن آمالها باختراق حصون العدو. وفي فبراير عام ١٩١٦ هاجمت قواتها الدفاعات الفرنسية البارزة الدفاعات المكشوفة في الخطوط القتالية في مدينة فردان التاريخية. وقد أمل الألمان تدمير القوات المسلحة الفرنسية وعزيمة الأمة الفرنسية القتالية، وذلك من خلال إيقاع خسائر فادحة لا تحتمل في صفوف القوات الفرنسية المضطرة لأسباب سياسية للتمسك بقردان ولكن بعد ثمانية أشهر من المعارك واسعة النطاق، عانى كلا الطرفين القدر نفسه من الخسائر المؤلمة.

وخلال تلك السنة نفسها سيطرت القوات البريطانية الجديدة، التي تشكلت من المتطوعين في الشطر الأول من الحرب على ساحة القتال في معركة سوم في فرنسا وبقي القادة البريطانيون من أمثال دوغلاس هيغ متمسكين بأهداب الأمل من خلال الاعتقاد أن عدداً كافياً من قطع المدفعية إلى جانب هجوم ضخم لقوات المشاة كفيل باختراق خطوط العدو. إذ افترض هيغ أنه يمكن تحقيق النصر عندما تقتحم قواته مؤخرة العدو وتبدأ بالتقدم صوب ألمانيا بشكل لا يمكن إيقافه. بدأت المعركة بمذبحة في صفوف قوات المشاة البريطانية بسبب المدافع الألمانية الرشاشة التي أطلقت نيرانها بشكل لم يسبق له مثيل حتى على الجبهة الغربية متابعاً الهجوم، بغية استنزاف العدو، أراق هيغ المزيد من الدم البريطاني، وقتلت أعداد كبيرة من الألمان أيضاً، غير أن الوضع على الجبهة بقي على حاله.

وشهد العام ١٩١٦ تخلي الأدميرالات على جانبي بحر الشمال عن الحذر الذي أظهروه منذ بداية الحرب، فقد انتظر البريطانيون عبثاً خروج أسطول أعالي البحار الألماني خارج الميناء فيدؤوا بتمهيد المسرح المعركة ترافلغار» جديدة، أو ما يسمى بالطرف الآخر، ذلك النصر البحري الحاسم الذي حققه الأسطول البريطاني في أعالي البحار ضد البحرية الفرنسية في أكتوبر من العام ١٨٠٥، كما شعر الألمان بالقدر عينه من خيبة الأمل لأن الأسطول البريطاني الكبير أطبق حصاره على الموانئ الألمانية من مسافة آمنة، ولم تنتج المناوشات التي حدثت في بحر الشمال سوى حالة من الجمود المحبط كما أظهر قادة القوات البحرية احتراماً كاملاً لإمكانات الأسلحة مثل حقول الألغام الحديثة والطوربيدات التي تطلق من الغواصات وتسببت المواجهة بين الأسطولين الكبيرين في معركة «جوتلاند» في أواخر مايو بخسائر أفدح في صفوف البريطانيين، بيد أنه كان حدثاً فريداً، ليس له نظير في أي مرحلة أخرى من الحرب، إذ ترك قيادة سطح المحيط في أيدي القوات البريطانية.

وقد أصبح اليأس الذي أصاب كلا الطرفين أكثر وضوحاً في عام ١٩١٧، إذ بدأ الفرنسيون هجوماً ضخماً ضد الألمان في «شمبانيا»، مدفوعاً بتفاؤل قائد جيشهم الجديد الجنرال جورج نيفيل. إلا أن انهيار الهجوم الذي شنه في مواجهة المقاومة الألمانية شديدة الصلابة والدربة دفع الكثيرين في الجيش الفرنسي للتمرد. وغدت القوات الفرنسية أولى القوات ولكن ليست الأخيرة على الجبهة الغربية التي تشهد انهيار روح القتال والنظام. وقد استرد القائد الجديد فيليب بيتان النظام للجيش مرة أخرى، ولكن على حساب وقف الهجمات الدامية التي كانت الأمل الوحيد لتحقيق نصر سريع.

وقام الألمان أيضاً بخطوات يائسة أملاً في تحقيق نجاح سريع، فقد بدت الغواصات، ذلك السلاح الجديد الذي يستخدم للمرة الأولى في الحرب العالمية

الأولى، الأداة التي ستحقق النصر في البحر، حيث استطاعت غواصات الأسطول الألماني، كما كان مأمولاً، أن تحقق النصر الوطني الذي فشل الجيش في تحقيقه من خلال قطع إمدادات الغذاء عن بريطانيا، التي كان معظمها مستورداً وتواصل هجوم الغواصات بطريقة مشؤومة طوال فترة الحرب.

ولكن وبحلول نهاية عام ١٩١٧ أظهرت تلك الغواصات أنها لن تنجح في تحقيق النصر المنشود، إلا أن خسائر قوات التحالف كانت سهلة التدبر ولا زالت سفن الإمدادات الحيوية قادرة على عبور المحيط الأطلسي. حيث هزمت المجموعة المتنوعة من التدابير الجديدة أو المقيتة استخدام القوافل البحرية على الرغم من معارضة قادة البحرية ذوي العقول العدوانية، وإجراءات تقنين الطعام على الرغم من المشقة التي فرضتها على الكثير من السكان اندفاع ألمانيا إلى الأمام. وكانت كلفة الجهد الألماني تهدف إلى جر الولايات المتحدة إلى دخول الحرب. حيث كانت حكومة « وودرو ويلسون قد أعلنت قبل عامين أنها لن تسمح بحرب غواصات مفتوحة النطاق من قبل ألمانيا. وفي الوقت نفسه، واصل البريطانيون هجومهم المتفائل لاختراق الخطوط الألمانية وبالتالي شق الطريق نحو النصر. فقد بدأ هجوم جديد هذه المرة حول مدينة إيبر الواقعة شمال غرب بلجيكا في طقس الصيف الجاف، وامتد حتى أمطار الخريف. وبسبب الأراضي المنخفضة التي تحولت إلى بحر من الطين، عانى البريطانيون من أسوأ الخسائر خلال الحرب في معركة إيبر الثالثة (التي عرفت باسم معركة باشنديل).

وذلك للاستيلاء على أجزاء ضئيلة من الأرض وبدأت السنة الأخيرة من الحرب بهجوم ألماني ضخم وجه خلاله الألمان بقيادة بول فون هندينبرغ وإريك ويدندورف سلسلة من الضربات القوية على طول الجبهة الغربية، آملين إلحاق الهزيمة

بالفرنسيين والبريطانيين قبل وصول القوات الأمريكية الضخمة. وزحف الألمان قدماً معطلين كامل الجيش البريطاني الميداني في هذه العملية.

ولكن في نهاية المطاف، صمدت خطوط قوات التحالف أمام هذا الهجوم الضاري وبحلول نهاية الصيف، بدأت معنويات الجيش الألماني في التصدع. فقد تحركت القوات الأمريكية الضخمة غير المدربة بصعوبة إلى الأمام نحو قطاع ميوز – آرجون حول مدينة فردان في شمال شرق فرنسا، في حين قاد الفرنسيون والبريطانيون بشكل خاص الهجمات الكاسحة التي أجبرت الألمان على التقهقر إلى حدودهم، ومع اقتراب قوات الحلفاء من الحدود الألمانية أفضى اليأس الألماني إلى نتائج سياسية وعسكرية بالغة الأهمية.

ودعا ويدندورف الشخصية الرئيسية في القيادة الألمانية العليا، القيادة السياسية في بلده إلى التوصل إلى هدنة وتحت ضغط من الرئيس الأمريكي ويلسون، وقبل الهدنة تحرك الألمان لإنشاء نظام برلماني أقرب إلى النظام المعمول به في بريطانيا العظمى، غير أن الأحداث تجاوزت أية نية. أمر الأدميرالات الألمان، الذين كانوا يسعون إلى معركة بحرية أخيرة في بحر الشمال أسطول أعالي البحار بالإعداد لهجوم نهائي، ولكن البحارة المنهكين ثاروا ضد ضباطهم وأوصلوا رسالة التمرد إلى جموع السكان الألمان. وعندما سافر الوفد الألماني الذي سيفاوض على الهدنة، لمقابلة ممثلي دول التحالف في مدينة كوميون الفرنسية في الأسبوع الأول من نوفمبر، غصت ألمانيا بالثورة. وتنازل القيصر فيلهلم الثاني عن العرش على مضض، وتشكلت الجمهورية المؤقتة، كما جهز القادة المتطرفون من أمثال كارل ليبكنخت للانتقال بالثورة إلى مرحلة أكثر شمولاً ، فقد تصوروا أن التغيير لن يتوقف عند هذه المرحلة من جمهورية الطبقة المتوسطة، وبدلاً من ذلك يجب أن

تتحول إلى حكومة عمال ثورية مشابهة لتلك التي قبلها الروس في نوفمبر من العام المنصرم.

دخلت دولتان من الدول المتحاربة على الجبهة الغربية هما ألمانيا وفرنسا الحرب بجيوش كبيرة مدرّبة. وذلك لأنهما كانتا تعملان بنظام التجنيد الإجباري الذي سمح بدفع أعداد كبيرة من الجند إلى الخدمة العسكرية سنوياً، وإضافة إلى تعبئة الجيش بالقوات النظامية وبالملتحقين حديثاً بالخدمة، سمح النظام العسكري في كلتا الدولتين بوضع الشبان الذين أنهوا الخدمة العسكرية في وحدات الاحتياط، وكان جنود الاحتياط يعودون إلى الخدمة الفعلية لفترة محددة كل عام، وكانوا على أهبة الاستعداد والجاهزية للالتحاق بالجيش النظامي في حالة حدوث أي طارئ وطني. لذا ممكنت هاتان الدولتان من الدفع علايين الجنود المقاتلين والمدربين إلى حد ما إلى جبهات القتال في غضون أسابيع قليلة من إعلان الحرب.

وفي عام ١٩١٤ وضعت خطط مدروسة ومفصلة بُنيت على أساس توسيع خطوط السكك الحديدية في كل من ألمانيا وفرنسا، جنود الاحتياط في مواقعهم، وربطتهم بوحدات الجنود النظاميين، ومن ثم نقلتهم إلى جبهة القتال بسرعة فائقة، وفي الوقت نفسه اندفع المتطوعون المتحمسون نحو القوات المسلحة في كلتا الدولتين. ومع استمرار القتال تواصل العمل بنظام الخدمة الإلزامية القائم، وكان مرور كل عام الدول المتحاربة على هذه الجبهة شملت دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية ودول المحور، ألمانيا والنمسا – المجر وتركيا.

أما في بريطانيا، فقد اختلف الأمر بصورة جذرية فالبريطانيون كان لديهم جيش صغير من المتطوعين جنباً إلى جنب مع عدد كبير من متطوعي البحرية ولم

يكن لدى بريطانيا منهج موطد لزيادة عديد القوات العسكرية بصورة جوهرية. ولم توفّر القوة العسكرية الإقليمية البريطانية وهي نسخة طبق الأصل من الحرس الوطني الأمريكي إضافة إلى قوات الجيش الصغيرة وقوات الاحتياط البحري، إلا دعماً محدوداً للجيش النظامي، بيد أن بريطانيا أطلقت بصورة فورية جهداً هائلاً لحشد عدد كبير من المتطوعين لتشكيل جيش جديد ومع استمرار الحرب، أنتج الجدل بشأن اللجوء إلى نظام الخدمة الإلزامية – أسوة بالنظام المعمول به في الدول الأوروبية المجاورة منذ زمن طويل – مشروع مسودة قانون في عام ١٩١٦.

كما اختلفت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً عن بقية الدول الكبرى في القارة الأوروبية. فالقوات المسلحة الأمريكية تكونت أساساً من أسطول بحري كبير وجيش صغير. وكان الجنود الذين يتمتعون بالتدريب المتقدم والجاهزية القتالية، جزءاً من قوات مشاة البحرية الصغيرة (المارينز) والتي لم يتجاوز قوامها ستة عشر ألف مقاتل وبعد وقت قصير من دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، استطاعت الحكومة تطبيق نظام الخدمة الإلزامية في جميع أرجاء البلاد وبقليل من الإعداد، أو دونما أي إعداد مسبق شرعت في إنشاء جيش يتكون من ملايين الجنود الجيش الألماني.

الجيش الألمانى

أمضى جنود الجيش النظامي الألماني وقوات الاحتياط الجاهزة، الذين دخلوا في أغسطس من عام ١٩١٤، فترة من التدريب التكتيكي في وقت السلم كجنود. وكان الجيش النظامي في تلك الفترة المكون من زهاء ثمانمائة ألف مقاتل يضم فرقاً عسكرية من المجندين الذين تم استدعاؤهم للخدمة في خريف ١٩١٢ و١٩١٣ و دعموا بشكل من الجنود المرغوب فيهم من الناحية البدنية والسياسية. ففي عام ١٩١١ انحدر أكثر من ٦٥% من المجندين من مناطق ريفية على الرغم من أ أن أكثر نصف سكان ألمانيا يقطنون في المدن، إلا أن ١٣ فقط من المجندين جاءوا

من المدن الكبيرة أو المتوسطة الحجم. ففي تلك المدن كانت هناك مجموعات يُعتبر ولاؤها موضع شك واضح من قبل الحكومة مثل الاتحادات العمالية والحزب الديمقراطي الاشتراكي. كان جميع جنود الاحتياط من المخضرمين بعد أن أمضوا عامين من الخدمة الفعلية عندما تم استدعاؤهم في عامهم العشرين وكذلك خضع سلاح الفرسان السابق للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات. وتم توزيع هؤلاء جميعاً على الثكنات العسكرية وباشروا مهماتهم الجديدة كجنود في القوات المسلحة وقد عمل الرقباء الدائمون الذين مضى عليهم في الخدمة العسكرية الفعلية اثنا عشر عاماً، على إعداد الجنود ذهنياً وبدنياً ن الأهداف عسكرية.

وخلال ستة أشهر من خدمتهم تلقى الجنود التدرب التقليدي الابتدائي: المشية العسكرية المنضبطة والرماية والعناية ببنادقهم والتدريب على السير الطليق والمناورات. وتبع ذلك فترة من الخدمة الفعلية ومن ثم العودة مرة أخرى إلى الحياة المدنية. وأسفرت تعبئة هذا العدد من جنود الاحتياط عن تشكيل قوة عسكرية قوامها ٢٩ مليون جندي في أغسطس ١٩١٤ وعلى الرغم من وجود نحو سريع بجنود احتياط منتظمين من الفرق العسكرية التي استدعيت للخدمة في الفترة من عام ١٩٠٧ إلى ١٩١١. وأضيف إلى تلك المجموعة جنود الاحتياط القدامى من مؤسسة الحرس الوطني Landwehr الذين تمتد أعمارهم حتى سن التاسعة والثلاثين كما أتاح عدد سكان ألمانيا الكبير نسبياً للحكومة بأن تختار للخدمة العسكرية.

كما أتاح عدد سكان ألمانيا الكبير نسبياً للحكومة بأن تختار للخدمة العسكرية الجنود المرغوب فيهم من الناحية البدنية والسياسية، ففي عام ١٩١١ انحدر أكثر من ٦٥% من المجندين من مناطق ريفية، على الرغم من أن أكثر من نصف سكان ألمانيا يقطنون في المدن، إلا أن ١٣ فقط من المجندين جاءوا من المدن الكبيرة أو

المتوسطة الحجم. ففي تلك المدن كانت هناك مجموعات يُعتبر ولاؤها موضع شك واضح من قبل الحكومة مثل الاتحادات العمالية والحزب الديمقراطي الاشتراكي

كان جميع جنود الاحتياط من المخضرمين بعد أن أمضوا عامين من الخدمة الفعلية عندما تم استدعاؤهم في عامهم العشرين وكذلك خضع سلاح الفرسان السابق للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات. وتم توزيع هؤلاء جميعاً على الثكنات العسكرية وباشروا مهماتهم الجديدة كجنود في القوات المسلحة وقد عمل الرقباء الدائمون الذين مضى عليهم في الخدمة العسكرية الفعلية اثنا عشر عاماً، على إعداد الجنود ذهنياً وبدنياً ن الأهداف عسكرية. وخلال ستة أشهر من خدمتهم تلقى الجنود التدرب التقليدي الابتدائي: المشية العسكرية المنضبطة والرماية والعناية ببنادقهم والتدريب على السير الطليق والمناورات. وتبع ذلك فترة من الخدمة الفعلية ومن ثم العودة مرة أخرى إلى الحياة المدنية. وأسفرت تعبئة هذا العدد من جنود الاحتياط عن تشكيل قوة عسكرية قوامها ٢٩ مليون جندي في أغسطس ١٩١٤.

وعلى الرغم من وجود شكل من أشكال التذمر والرفض لهذا الاستدعاء الإلزامي وخاصة في المناطق الريفية التي يمثل فيها المحاصيل أولوية عليا، إلا أن عدداً قليلاً جداً من جنود الاحتياط لم يمتثلوا للخدمة العسكرية. وفي مجتمع كالمجتمع الألماني يحتفى فيه بالقيم العسكرية، قبل معظم الشبان الألمان الالتزام بالخدمة العسكرية برباطة جأش؛ فالالتحاق بوحدات عسكرية معينة كان مرتبطاً بمناطق جغرافية محددة، وعند التحاق مجموعة من فئة عمرية بالكامل من منطقة نحو جني معينة بالجيش في وقت واحد فإن ذلك يُعتبر مناسبة للاحتفالات المحلية. كما كان من الممكن أيضا للمتطوع في الجيش الألماني أن يختار الوحدة العسكرية التي يريد أن يخدم بها، بما في ذلك الوحدة التي كان والده أو أخوه الأكبر قد خدم فيها. وكان متاحاً للشباب المتعلم بعد عام من خدمته في القوات المسلحة نيل رتبة

ضابط احتياط، مع ما يرافقها من مكانة مميزة في المجتمع الألماني. ولكن حتى بالنسبة إلى جموع المجندين المنحدرين من مراكز اجتماعية أقل تميّزاً كان يحتفى بإتمامهم الخدمة العسكرية على اعتبار أنهم يدخلون مرحلة جديدة في حياتهم. وقد هدفت الجرعة الثقيلة من التدريب على المشية العسكرية المنضبطة التي تلقاها المجندون إلى خلق ما يسمّى بـ الطاعة العمياء الضرورية للاستجابة الصحيحة تجاه الأوامر تحت وطأة القتال، ولم يتطلب خلق رماة مهرة من المجندين الذين يخدمون لمدة عامين أو ثلاثة أي جهد يذكر، وكانت المقدرة على إطلاق النار الكثيف بشكل مركز ومسيطر عليه في ظروف المعركة كافية.

ومن ناحية أخرى، ركز التدريب الألماني على اللجوء للعدوانية في أوقات الخطر: وكان يُتوقع من جنود المشاة المسلحين بالحزم الداخلي بحسب تعبير قوانين الانضباط لعام ١٩٠٦، أن يتابعوا السير قدماً حتى في وجه نيران العدو. وعكست كتيبات التدريب الألماني قدرة هائلة للجنود على استخدام الأسلحة الحديثة بوعي كامل، ولكنها تطلبت من الجنود المدربين تدريباً جيداً أن يتغلبوا على مخاوفهم ويؤدوا أدوارهم في مهاجمة العدو وكان معظم الجنود الألمان الذين ذهبوا إلى الحرب في أغسطس من عام ١٩١٤ في منتصف العشرينات من أعمارهم ولم تشهد إلا قلة قليلة من قادتهم الأكبر سناً الحرب الفرنسية – البروسية التي وقعت بين ١٨٧٠ و ١٨٧١. وشاركت مجموعة أكبر، غير أنها تبقى محدودة في الحملات الاستعمارية ضد السكان المحليين في المستعمرات الألمانية في أفريقيا. لذلك لم يكن من مثيل الجموع المحاربين المخضرمين ضمن القوات.

نشبت عام ١٨٧٠ بين فرنسا وبروسيا وسرعان ما دخلت ألمانيا الحرب إلى جانب بروسيا وانتهت في عام ١٨٧١ بانتصار ساحق للألمان أدى إلى توقيع معاهدة فرانكفورت وسقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية.

ومع ذلك، فإن الجندي الألماني العادي في عام ١٩١٤ واعتيم نفسه جزءاً لا يتجزأ من مؤسسة تُجسد كلاً من الاستقامة والثقة والكفاءة المهنية الواضحة كما منح التدريب الألماني ضباط الصف والجنود إعداداً نفسياً ومهنياً أهلهم للاستمرار والصمود في ساحة المعركة الحديثة، إذ خدموا في جيش أحج حماستهم على الأقل بالتظاهر بمعرفة ما يحدث في ساحة المعركة، وبسبب فداحة الإصابات التي ألمت بالجيش الألماني وكثرتها، التحق جموع الرجال شباباً وشيباً بالخدمة العسكرية. وعلى نحو مشابه أخذ سلك الضباط مختلفاً قبل الحرب، حتم النمو الطبيعي للجيش على القيادة إتاحة الفرصة لقيادات من الطبقة المتوسطة بدلاً من الطبقة الأرستقراطية التي كانت تسيطر على قيادة الجيش. وتواصلت تلك العملية، ومن أجل إيجاد مصدر إضافي من قادة المعركة اضطلع ضباط الصف من المتقاعدين بدرجة متزايدة من المسؤولية.

وكان المجند الألماني الذي يستدعى للخدمة العسكرية أثناء الحرب يتعرف الحياة العسكرية على أساس انتمائه إلى فوج وهناك يأتي مدربوه من مصدرين، فهم إما ضباط ورقباء أصيبوا في المعارك وكانوا يتماثلون للشفاء، وإما كادر التدريب المؤلف من الجنود المخضرمين كبار السن الذين تم استدعاؤهم لمثل هذه المهمات. وطبقاً لكتيبات ما قبل الحرب، فإن الاستعداد لمواجهة محنة الخنادق لم يتجاوز أبعد من المشية العسكرية المنضبطة وتدريبات الالتحام بالسلاح الأبيض والمناورات الأولية ووجدت الوحدات العسكرية الألمانية المتواجدة على الجبهة الأمامية لخط النار نفسها مضطرة للقيام بتدريباتها الخاصة. ومن أجل إيجاد بدائل جديدة لحقائق حرب الخنادق أنشئت مراكز تجنيد للفرق العسكرية في ألمانيا وكان المدربون في هذه المعسكرات من المخضرمين الجدد في القتال إلا أن التدريب في هذه المراكز عانى من نقص المساحات اللازمة لمحاكاة نظام قتال الخنادق الموجود على الجبهة

الغربيـة لخـط النـار وقـد وصـف الصـحفي الهولنـدي بوفـور أجـواء إحـدى ثكنـات التدريب التي زارها في مدينة ميونخ عام ١٩١٦ حيث تبين له أنه وبعد ستة أسابيع من التدريب، كان المجندون ينفذون كل حركة بدقة آلية متناهية في كل أعمالهم، وللتجاوب مع أوامر ضباطهم كانوا يصرخون كأنهم يخاطبون من قبل رجل يبعد عنهم مسافة نصف ميل، وعندما سأل دي بوفور الضابط المرافق له داخل الثكنات عن السبب، أجابه بأن مثل هذه الممارسة تعلم المجندين درجة من التأهب العسكري؛ فالكثير من المجندين عندما يصلون إلى مراكز التدريب يكونون مدللين يتكلمون بنعومة وبطء ويخافون عند مخاطبتهم». وصرّح الضابط الألماني أنه بعد أسبوعين من التدريب، بما في ذلك الصراخ عند الاستجابة للأوامر، تغير سلوك المجندين وطرائق تفكيرهم.

الجيش الفرنسي

الجيش الفرنسي وعلى نحو مماثل، أمضى المجندون الفرنسيون، بداية من سن الثامنة عشرة إلى العشرين سنتين أو أكثر في الثكنات غير أن الاستدعاء السنوي للخدمة العسكرية لم يفرز أجواء ابتهاجية مثلما كان الأمر في ألمانيا. وقد أشار أحد المؤرخين إلى أنه بالنسبة إلى الشبان الفرنسيين كانت الخدمة العسكرية الإجبارية في أحسن حالاتها ممثل إزعاجاً لهم، وفي أسوأ حالاتها كانت تعتبر عيناً على اقتصاد الأسرة. كما أن القوة البشرية الفرنسية القادرة على الخدمة العسكرية كانت قليلة نسبياً، ولم تحشد سوى زهاء مائتين وخمسين ألفاً إلى ثلاثمائة ألف مجند سنوياً، مما أجبر الحكومة على تمديد الخدمة العسكرية إلى ثلاث سنوات اعتباراً من ١٩١٣، ولولا هذا التغيير، لما حصل الجيش النظامي الفرنسي على أكثر من خمسمائة وأربعين ألفا جندي فقط في مقابل ثمانمائة ألف مقاتل ألماني.

ففي بداية الحرب ضم الجيش الفرنسي المجندين الذين تم استدعاؤهم للخدمة في الأعوام ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣. وعلى الفور التحق بهم جنود الاحتياط الذين خدموا ما بين عامي ١٨٩٦ و ١٩١٠ وفي نهاية العام تم الإتيان بمجندي العام ١٩١٤ الجدد إلى الجيش، كما حمل احتياطيو الأعوام ١٨٩٢ حتى ١٨٩٥ السلاح على حد سواء. وكان المجندون وجنود الاحتياط على حد سواء ينفذون أوامر الرقباء ويسيرون في مسيرات عسكرية لأميال طويلة ويقومون بتنظيف بنادقهم مراراً وتكراراً، ومن وجهة نظر معظم المراقبين، كان الجيش الفرنسي أقل نجاعة من الجيش الألماني في إزالة وجهة نظر معظم المراقبين، كان الجيش الفرنسي أقل نجاعة من الجيش الألماني في إزالة التوجهات المدنية من عقول المجندين. فالهزيمة التي تلقتها فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١ ما زالت ماثلة في ذاكرة الفرنسيين. وعلاوة على ذلك فإن قضية دريفوس ذلك الضابط اليهودي الذي اتهمه مرؤوسوه ظلماً بالخيانة العظمى، جعلت العديد ينظرون إلى الجيش الفرنسي على أنه جيش متعصب وفاسد ولا يؤمن بالنظام الجمهوري. فقد تمرد جنود سلاح المشاة الفرنسي على الأوامر عام ١٩٠٦ بدلاً من قمع تمرد منتجي النبيذ، كما أن الاستدعاء السنوي للخدمة العسكرية الذي تلا ذلك العام شهد هروب ستة وثلاثين مجنداً من أصل كل مائة مجند.

وكان لغياب مفهوم الولاء والطاعة العمياء للأوامر ضمن الجيش الفرنسي، والذي يشكل فخر الألمان أثر واضح في الاضطرابات التي حدثت في عشرين حامية للجيش الفرنسي عام ١٩١٣. فقد وقعت تلك الاضطرابات عندما تمي إلى علم الجنود أن الخدمة الإلزامية سوف تمدد إلى ثلاث سنوات بدلاً من سنتين، ومع ذلك، عندما تم استدعاؤهم من الحياة المدنية في العام ١٩١٤ فإن ١,٣ من احتياطي فرنسا بدلاً من النسبة المتوقعة ١٣ – لم يلتحقوا بوحداتهم وفي نهاية المطاف أدى

٧,٨ مليون فرنسي الخدمة العسكرية في زمن الحرب، وشكل هذا ما يقارب خمس العدد الإجمالي للسكان .

وقد شدّد قانون السنوات الثلاث الصادر في عام ١٩١٣ على أن يقضي المجندون عامهم الأول في تدريبات عسكرية تحت إشراف مكتف وكان يتوقع منهم كجنود في القوات المسلحة» أن يتقنوا آليات الحركة فحسب. وفي عامهم الثاني، فإنهم مطالبون بالتدرب على القتال وعلى تعلم المهمات الخاصة التي قد يكلف بها الجندي في ميدان المعركة». وفي العام الثالث الذي أضيف حديثاً للخدمة كان متوقعاً أن ينال عدد من المجندين رتبة عريف أو رقيب في الجيش، وشدّد هذا التدريب الفرنسي النقيب الفريد دريفوس، ضابط مدفعية في الجيش الفرنسي من أصل يهودي، حكم عليه بالمؤبد بتهمة تسليم أسرار عسكرية عن الجيش الفرنسي للسفارة الألمانية في باريس ولكن بعد عامين ظهرت براءته.

– قانون تمديد الخدمة العسكرية من عامين إلى ثلاثة أعوام.

قبل الحرب على القيام بالأعمال الهجومية ضد مواقع العدو في جميع الظروف. فقد أظهرت صورة فوتوغرافية التقطت للمناورات عام ١٩١٣ مشهداً مماثلاً للوحة ظهرت عام ١٨٧٧ الجنود يقاتلون في المناطق الريفية المفتوحة ويطاردون أعداءهم فوق سفوح التلال حاملين البنادق ذات الحراب، بتشجيع من ضباط الفرسان». وفي حين شددت تعاليم التدريب على دور كتيبة المشاة في الحرب، فقد قللت من أهمية سلاح المدفعية شأن التكتيكات العسكرية الدفاعية. ووفقاً للقواعد التكتيكية التي أقرت في أبريل ١٩١٤، فإن الهجوم اللازم لتحقيق النصر لا يمكن تحقيقه إلا ببذل طاقة جسدية ومعنوية هائلة مع التضحية بالدم، ومما لا شك فيه أن كل هذه التدريبات أهلت الجنود الفرنسيين للحرب ولكن وفقاً لمجريات الأحداث اللاحقة، ليس للحرب العالمية الأولى.

الجيش البريطاني

كان الجيش البريطاني أصغر جيش بين القوى الأوروبية العظمى، وكانت الدولة تستخدم هذا الجيش الذي كان يحتمي خلف قوة بحرية هائلة، في المقام الأول للدفاع عن إمبراطورية عالمية. وكان مجموع قوام هذا الجيش تقريباً اثني عشر ألفاً وثمانمائة ضابط بالإضافة إلى مائتين وثلاثين ألف مجند ، غير أن هذه القوة الصغيرة كانت تمتلك أفضل المهارات العسكرية على الساحة الأوروبية. ففيالق الضباط كانت تضم صفوة المجتمع البريطاني: أبناء النبلاء وملاك الأراضي وأنجال العائلات العسكرية التقليدية ونسل الرجال المهنيين الطموحين وعلى الرغم من أن المجندين كانوا من طبقات غير ماهرة وعاطلة عن العمل، إلا أنهم تلقوا تدريباً متقدماً. فالغالبية العظمي وقعت على عقد للخدمة لمدة سبع سنوات جنود سلاح المدفعية خدمو ا لمدة ست أو سبع سنوات)، وتلقوا خلالها تدريبات بدنية قاسية وتدريبات على المشية العسكرية المنضبطة ومسيرات عسكرية مكثفة. وأظهر هؤلاء الجنود كفاءة عسكرية واضحة في ميدان الرماية. فالجندي البريطاني العادي في كتيبة الرماة الذي كان يتلقى علاوة تشجيعية على مهارته في استخدام سلاحه كان قادراً على إطلاق ١٥ طلقة بدقة متناهية على هدف يبعد ثلاثمائة باردة خلال دقيقة واحدة. أما الرماة المهرة فكان باستطاعتهم إطلاق ٣٠ طلقة من مثل هذه الطلقات.

وكانت الكتيبة البريطانية النموذجية العاملة في الهند تقوم بالمسيرة العسكرية السنوية القاسية في كل ربيع لمسافة مائتي ميل من السهول الحارة إلى المناطق الأكثر برودة، مناطق الجبال الوعرة. وهناك خضعت تلك الكتيبة لتدريبات مكثفة من المناوشات والمناورات والربط الداخلي بين الوحدات كما تدرب الضباط والرجال والخيول العاملة في وحدات المدفعية البريطانية على تركيب بطارية مدفع رشاش بست فوهات خلال ثلاث دقائق فكان المدفع يُنصب ويطلق منه النار قبل أن تتمكن

وحدة العدو في خط المواجهة من الرد. وأسفرت التحسينات التي طرأت على الجيش في العقد السابق لعام ١٩١٤ عن مجموعة كبيرة من المدنيين المدربين – الجيش الإقليمي – قادرة على دعم الجنود النظاميين. فهذه القوة العسكرية كانت عبارة عن دمج للوحدات المجمعة محلياً محاكية في ذلك الحرس الوطني الأمريكي، إذ تدرب جنودها الوطنيون، البالغ عددهم زهاء مائتين وخمسين ألف ضابط وجندي في بداية الحرب (١٦)، عدة مرات أسبوعياً وحضروا المعسكر الصيفي السنوي الذي كان يقام لمدة أسبوعين من أجل إجراء المناورات. وعلى الرغم من هذه الإضافات في عدد الجنود، إلا أن عدد الجيش البريطاني لم يتناسب مع عدد القوات المسلحة الفرنسية والألمانية الضخمة.

جيش الولايات المتحدة الأمريكية

تكونت القوات المسلحة في الولايات المتحدة، مثل نظيرتها البريطانية، من قوة بحرية كبيرة وجيش صغير. وقد دفعت الأزمة التي حدثت مع المكسيك في عام ١٩١٦ الحكومة إلى إعلان حالة التعبئة في الحرس الوطني، وكانت النتيجة وجود مصدر من القوة البشرية المدربة التي يمكن مضاعفة حجمها بسرعة معقولة، وبلغ مجموع قوام الجيش النظامي عندما دخلت البلاد إلى حلبة الصراع زهاء ١٢٧ ألف ضابط ومقاتل وأضاف الحرس الوطني ١٨٠ ألفاً أو نحو ذلك إلى جمع الرجال المدربين. وكان معظم هؤلاء الجنود الوطنيين لديهم خبرة الخدمة على الحدود المكسيكية ، وقد أثار دخول الولايات المتحدة الحرب موجة من التطوع مشابهة لتلك التي حدثت في ألمانيا وبريطانيا في عام ١٩١٤ آنذاك كان ويليام لانغر الذي أصبح فيما بعد مؤرخاً أمريكياً متميزاً، معلماً شاباً في إحدى المدارس الإعدادية، عندما استجاب ميناء فرنسي أسس في القرون الوسطى يطل على مدينة مونتريال.

الإعلان صحفي يدعو إلى التطوع في وحدة المهندسين في الجيش الأمريكي. ولكن التقلبات في مهام الجيش وضعته في السرية لفوج الغاز الأول، وهي القوة التي تشكلت بالكامل من المتطوعين: «عدد كبير من المنقولين من الجيش النظامي والعديد من خريجي الجامعات وكبار السن والفتيان الصغار والميكانيكيين والباعة، وأشار لانغر إلى أن الآلاف من أمثاله التحقوا بالجيش دون تجنيد على الرغم من الروايات الحقيقية والتفصيلية عن القتال الدامي في السوم) وحول فردان ناهيك عن المعاناة اليومية في حرب الخنادق وعزا ذلك إلى مجموعة من العوامل. وعلى الرغم من أن هذه العوامل شملت الغضب من ألمانيا الإمبراطورية، إلا أن روح المغامرة لعبت دوراً كبيراً، ووصف لانغر الوضع قائلاً: «كانت هنا فرصتنا العظيمة للمتعة والمخاطرة قبل الاستقرار والعودة مرة أخرى إلى روتين الحياة اليومية الآمن والهادئ.

ومع ذلك، قررت الحكومة أن نظام التجنيد الإلزامي فقط هو الوحيد القادر على زيادة عدد الجيش بشكل يفي بالحاجات القتالية في أوروبا، ويذكر أن السلطات الفدرالية تجنبت المخاطرة باللجوء إلى التجنيد الإلزامي إبان الحرب الأهلية. ولكن هذه المرة، تولى مسؤولون محليون المهمة، ولم يُسمح لأحد باستئجار متطوع ليخدم بدلاً منه، واستمر المتطوعون أمثال ويليام لانغر بتوقيع عقود الخدمة، ولكن تدريجياً تم تقنين التطوع إلى أن أغلق كلياً في أغسطس وسبتمبر ١٩١٨، وبدا التجنيد بالنسبة إلى السلطات العسكرية طريقة أكثر كفاءة في توفير الجنود الجدد، وفي الوقت نفسه لا يحرم البلاد من الرجال اللازمين لشغل المهن المدنية الضرورية، وأبلغ جميع الذين استدعوا للخدمة العسكرية بأن خدماتهم مطلوبة طوال فترة الحرب. ووفر هذا المخطط مليونين وسبعمائة وخمسين رجلاً، أي زهاء ثلث العدد الإجمالي ممن خدموا فى القوات المسلحة.

مؤتمر فرساى ١٩١٩.

وبعدما وضعت الحرب أوزارها , تم اختيار فرنسا مقراً لمؤتمر الصلح اعترافاً بالدور الكبير الذي قامت به فـي الحرب , لاسيما مالحق بها من أضرار جسيمة على أيدى الألمان فـي بداية الحرب وشارك فـي المؤتمر مندوبون عن ٢٧ دولة ولم يدع مندوب عن الاتحاد السوفييتي الأسبق , كما لم يدع إلى المؤتمر مندوبون عن الدول المهزومة في الحرب بل كان عليها توقع على الوثائق بعد اعدادها , لان السلام فرض فرضاً ولم يكن نتيجة مفاوضات وكان لكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية دوراً أساسيا فـي وضع قرارات مؤتمر الصلح .

عرف ممثلوا هذه الدول الثلاث باسم (الثلاثة الكبار) , أما ممثل اليابان فقد كان دوره ثانوياً في المؤتمر , كما أن ممثل ايطاليا انسحب من المؤتمر بعد وقت قصير احتجاجاعلى تجاهل الثلاثة الكبار بعض المطالب الايطالية وترأس الوفد الأمريكي رئيس الولايات المتحدة (ولسن) (١٨٥٦-١٩٢٤أما الوفد الفرنسي فترأسه رئيس وزرائه (جورج كليمنصو) (١٨٤١-١٩٢٩ (في حين قاد الوفد البريطاني رئيس وزرائها (دافيد لويد جورج) (١٨٦٣-١٩٤٥). وقد عكست قرارات المؤتمر في النهاية وجهات نظر ومصالح الدول الكبرى .

بيد أن ما يهمنا هنا هي مقررات مؤتمر الصلح التي خصت الإمبراطوريةالألمانية , وكيفيةترسيم

حدودها وقطع وإعادة (الالزاس واللورين) إلى فرنسا, مضاف الى انتزاع كافة مستعمراتها وامتيازاتها فيما وراء البحار في قارتي افريقيا واسيا , وحلت اليابان محلها في الشرق الأقصى , فانتدبت على جزر (مارشال) , وتفوقت في الصين على حساب ألمانيا , وحصلت فرنسا على جزء من الكاميرون .

جاءت الدول المنتصرة في الحرب الى مؤتمر السلم لتحل مشكلات معينة , والسلم لم يكن اقل خطورة من الحرب ، فهي لم تتناول تلك المشاكل , كما هي حقيقة وتقضي على أسباب الحرب لجعل قيمة الجهود والدماء التى حرقت بين ١٩١٤ و ١٩١٨ لاتذهب سدى.

وكان من الواضح الجلي ان تنظيم السلم سيكون بيد الدول الغالبة , فالنمسا والمجر تلاشت من الخريطة الأوربية والامبراطورية العثمانية تهدمت , وبلغاريا سحقت , وألمانيا رمت السلاح وكانت تمر في مخاض ثورة اشتراكية وتتمنى لو قنع الحلفاء بتطبيق مبادئ الرئيس الأمريكي (ولسن) "الأربعة عشر" , وكان من الواضح ان الكلمة النهائية للدول الكبرى , بريطا نيا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان ، والصغار من الحلفاء لم يتكلموا ويقترحوا ويتفرجوا فقط.

اجتمع في باريس في ١٨ يناير ١٩١٩ ، خبراء يمثلون اثنتين وثلاثين دولة من الدول المنتصرة , لوضع الخطط الرامية إلى إصلاح عالم حطمته الحرب , وذلك بوضع خارطة جديدة للعالم والقضاء على الاضطرابات الاقليمية والمشكلة التي تواجه المؤتمر هي إقرار السلام في العالم، مع وجود التباين فى تخطيط الحدود حسب الحاجات الاستراتيجية والآلام التي احدثتها الحرب , والتهديد البلشفي والرغبة في فرض التعويضات على المغلوبين , ولم تمثل في جلسات المؤتمر كل من ألمانيا والنمسا و الدولة العثمانية وبلغاريا.

افتتح مؤتمر الصلح رسمياً في باريس , وحضره سبعون مندوبا ولم تنظم ألمانيا إلى هذا المؤتمر إلا بعد أن صارت الشروط معدة للتوقيع , ثم استجاب الحلفاء في ٥ تشرين الثاني١٩١٨ لطلب ألمانيا بعقد صلح على أساس مبادئ ولسن الأربعة عشر , ولكن المبادئ لم تلبث ان ضاعت في خضم الصراع بين الآراءالمتناقضة والمصالح المتضاربة.

استُقبل الرئيس (ولسن) استقبالاً حماسياً عندما وصل أوربا , باعتباره ممثلاً للفكرة الجديدة المثالية في تنظيم العلاقات الدولية , وكان هدف ولسن أولاً هو ضمان الحصول على تأييد لفكرة تضمين معاهدة الصلح مشروعا لعصبة ، أما (لويد جورج) أكبر ممثلي بريطانيا العظمى يومئذ , فلم يكن مكترثاً في قليل أو كثير بعقد الصلح, وانما ارتبط ارتباطاً شديداً بالوعود التي قطعها على نفسه في الانتخابات البريطانية العامة التي جرت منذ زمن يسير , وتقضي بتقديم مجرمي الحرب للعدالة وأن تدفع ألمانيا تعويضات عنها ، أما رئيس وزراء فرنسا (كليمنصو) , فكان بدوره يمثل في جلاء رجل الدبلوماسية القديمة المصمم على الانتقام والمطالب بمصالح فرنسا , والشروط الكفيلة بحماية بلده , والى جانب ذلك ارتبطت كل من بريطانيا وفرنسا باتفاقاتهم مع ايطاليا وبشؤونها في الشرق الادنى , وأما روسيا فإنها لم تشترك في المؤتمر لأن الثورة البلشفية التي قامت بها فصلتها عن الحلفاء فناصبوها العداء وقاطعوها.

اتسم مشروع شروط الصلح بالنزاع العنيف بين أعضاء مجلس الأربعة , فأصر (كليمنصو) على نزع الضفة اليسرى (للراين) من ألمانيا , كما رغب في ضم حوض (السار) أيضاً لفرنسا , غير ان (ولسن) و (لويد جورج) عارضا هذه المطالب بيد انهما ايدا تحمل ألمانيا نفقات الحرب وبعد التغيير الذي حصل في ألمانيا , وبعد ان هرب قيصر ألمانيا وليم الثاني) إلى هولندا ارسلت الحكومة بعثة الهدنة برئاسة (ماتياس ارزبرجر) زعيم حزب الوسط , استهدفت الشروط التي قدمها الحلفاء جعل ألمانيا لا حول لها ولا قوة , والتأكد من تنفيذها لشروط الصلح.

اشترطت الهدنة الانسحاب الالماني المباشر من الأراضي المحتلة في الجبهة الغربية ومن جميع الأراضى غرب (الراين) , وان تحتلها قوات الحلفاء , والغاء معاهدات (برست ليتوفسك) و(بوخارست) , وانسحاب القوات الألمانية من رومانيا

والنمسا والمجر وتركيا وروسيا , وتقوم أ لمانيا بتسليم (٥٠٠٠ قاطرة) ,) ٥٠٠٠ لورى) ,) ١٥٠ ٠٠٠ عربة نقل) وان تسلم أكثر من (١٦٠ غواصة) , وعدد كبير من السفن الحربية الأخرى للحلفاء , كان لابد لوفد ألمانيا ان يقبل وكان امد الهدنة ثلاثين يوم, ولكن تجددت لمدة أخرى حتى ابرام الصلح.

لقد ألقى عبء عقد سلام دائم على عاتق الأربعة المنتصرين : (لويد جورج) ,) كليمنصو) ,) ولسن) ,) واورلاند) , وتركت روسيا هذه الأمور الدولية في أعقاب الثورة الشيوعية . فكانت بريطانيا معنية بأمر هام بالنسبة لألمانيا , وهي لا تريد ان يؤدي الضغط على ألمانيا إلى ان تلقي بنفسها بين يدي روسيا البلشفية, وكان على بريطانيا أن تمنع فرنسا من التمادي في دعواها من أنها تحتاج إلى عمق استراتيجي في داخل الأراضي الألمانية.

كانت وجهة نظر (لويد جورج) إزاء ألمانيا هي لابد من تقليم اظافرها , ولكن ليس للدرجة التي تصبح ألمانيا جثة هامدة , وهناك من يرى ان (لويد جورج) , كان متعقلاً في معاملته لألمانيا المهزومة , إذ قورنت شروطه التى أراد ان يفرضها عليها , وهي طلب التعويضات الباهظة والقضاء على قوة ألمانيا العسكرية والاقتصادية , حيث لا تستطيع ان تنهض مرة أخرى , وهي في نظر الشعب البريطاني هي التي جرت الكوارث الكبرى على العالم الأوربى بتحديها الدول

الكبرى وعلى رأسها بريطانيا.

ومن العوامل الجوهرية التي جعلت بريطانيا تنظر إلى ألمانيا نظرة أكثر اعتدالاً من نظرة فرنسا , وأكثر واقعية هى ان عواطف الشعب الجامحة بعد الانتصار كان من الممكن السيطرة عليها , بسبب تلاشي اكبر خطر كان يهدد بريطانيا, وهو استسلام الاسطول الالماني , بعكس الحال بالنسبة للجيش الالماني

الذي كان خطراً مباشراً ودائماً على فرنسا , وكل ما حدث له انه ألقى السلاح , ومنع ألمانيا من الحصول على أسلحة هجومية , ومنعت من التهديد الإجبارى وتحديد , القوات المسلحة.

وجه المؤتمر اهتماماً خاصاً إلى معاهدة الصلح مع ألمانيا , ويعود ذلك إلى ثقل دورها في الحرب , وقد تم توقيع لمعاهدة في ٢٨يونيو ١٩١٩ و بعد ان عرضت بنودالمعاهدة على الوفد الالمانى اعترض الوفد بشدة على بنودها لانها لم تلتزم بشروط الاستسلام التي وقعت عليها المانيا ,فضلا عن استحالت تنفيذ كثير من نصوصها بيد انها لم يكن امامهم من سبيل سوى توقبعها وتم توقيع المعاهدة وعرفت باسم (معاهدة فرساي) , لأنها وقعت في قاعة المرايا بقصر فرساى.

عدد صفحات المعاهدة ٢٣٠ صفحة, ويمكن تلخيص ابرز مضامينها الى الأقسام التالية :

١ -القسم الأول : وتضمن ميثاق عصبة الأمم , وقد أدرج هذا الميثاق في مقدمة جميع المعاهدات, وكان ذلك بناء على إلحاح الرئيس الأمريكي , على ان ميثاق عصبة الأمم يجب ان يكون جزءاً لا يتجزأ من تسويات الصلح.

٢ -القسم الثاني : موضوع الحدود , نصت المعاهدة على إعادة (الالزاس واللورين) إلى فرنسا , كما حصلت فرنسا على مناجم الفحم في منطقة السار , التي تقرر ان تعهد أدارتها لمدة خمس عشرة سنة الى لجنة خاصة تحت إشراف عصبة الأمم , وكان ذلك على سبيل التعويض عن الأضرار التى الحقها الجيش الألماني بالمناجم وان يجري استفتاء بعد انقضاء المدة المحددة حول بقاء سكانها مع الجاني الالماني او الانضمام الى فرنسا, أو البقاء تحت إشراف عصبة الأمم.

كما حصلت بلجيكا على ثلاث مدن مهمة هي (ايوبن) و(مالمدي) و(مورسن) , وتقرر إجراء تصويت في القسم الشمالي من (شلزوفيك) لتقرر الأغلبية الدنماركية مصيرها.

وتنازلت ألمانيا عن الجزءالأكبر من جهاته الشرقية فى (بوزن) و(بروسيا الغربية) إلى بولندا وإجراء استفتاء في (سيلزيا العليا) , واعتبار (دانزج) ولاية حرة داخل الاتحاد الكمركي البولندي , وأجراء استفتاء فى أجزاء (بروسيا الشرقية) لتقرر الانضمام إلى بولندا أو تبقى مع ألمانيا , والتخلى عن كافة المستعمرات الألمانية , وتنظيم شؤونها في ظل الوصايا لتشرف عليها عصبة الأمم وتتحمل ألمانيا وحدها مسؤولية الحرب بمقتضى المادة ٢٣١ ,كما تقرر السماح لها في الاحتفاظ بجيش لا يزيد على (١٠٠ ٠٠٠ رجل) , وتجريدها من المدافع الكبيرة , عدا كمية محدودة من المدافع الصغيرة وتحديد سفن الاسطول الألمانى بست سفن حربية فقط وعدم السماح لالمانيا بامتلاك غواصات او طائرات حربية ، نزع أسلحة حصون (هليجولاند) واحتلال الحلفاء بلاد (الراين) مدة خمسة عشر سنة , أو أكثر حسبما تقتضي الضرورة , وفتح قناة كييل للسفن الحربية والتجارية لجميع الدول , وتدويل انهار ألمانيا , ومحاكمة الامبراطور الألماني السابق و كذلك دفع الالمان التعويضات عن الخسائر التي أصابت المدنيين فى يالحرب وتقديم الحساب الختامى له عند ذلك في أول مارس سنة ١٩٢١ , والى ان يحين ذلك الوقت تدفع ألمانيا (خمسة بلايين) دولار وتدفع الباقي على ثلاثين عام ,والزمت ايضا بتسليم جميع سفنها التجارية التى تزيد حمولتها على (١٦٠٠ طن) , ونصف السفن التي تتراوح حمولتها (٨٠٠ طن) وكذلك أسطول الصيد , وتتحمل ألمانيا نفقات جيوش الاحتلال , وتلتزم ببيع سلعها في بلاد الحلفاء.

٣ -القسم الثالث : الضمانات , كان من بنود معاهدة الصلح الجديدة , التي كان غرضها ضمان امن جيران المانيا عن طريق إضعاف القوة ا لعسكرية للأخيرة , ويشير البعض أن هذه البنود بوصفهاضمانات عسكرية لفرنسا.

فقد نصت المعاهدة على تحديد عدد الجيش الألمانى بما لا يزيد على (١٠٠ ٠٠٠ رجل) , وكذلك تحديد القوة البحرية الألمانية , بست بوارج حربية وست طرادات وست مدمرات واثني عشر مركب طوربيد , ومنعت ألمانيا من صنع الغواصات , كما منعت من صنع الطائرات ومن تأسيس قوة جوية , و منعت ايضا من صنع المدرعات والدبابات أو استيرادها , والزمت بعدم تصنيع الغازات السامة وإلغاء الخدمة العسكرية الاجبارية.

ولأجل ضمان أمن فرنسا تقرر ان تحتل قواتها الجانب الغربي من نهر (الراين) لمدة خمسة عشر سنة وإيجاد منطقة منزوعة السلاح في شرق (الراين) , ونصت المعاهدة على تكوين لجان خاصة من دول الحلفاء للاشراف على تنفيذ المواد العسكرية الواردة فيها حصلت فرنسا على ضمانات سياسية بتوقيعها اتفاقيتين مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في ٢٨ يونيو ١٩١٩ والحقتا (بمعاهدة فرساي) , تعهدت الدولتين فيهما بتقديم المساعدة السريعة لفرنسا في حالة تعرضها أي اعتد اء المانى مفاجئ , أو فى حالة عزم ألمانى إعادة تسليح منطقة (الراين).

ان من أهم المشاكل صعوبة في المعاهدة , كان تحديد كمية التعويضات التي يطلبها الحلفاء من ألمانيا عوضاً عما حدث من خسائر أثناء الحرب ,وقد تركت هذه المادة في المعاهدة تبرير إجبار ألمانيا على دفع الغرامة الحربية على سبيل التعويض عن الاضرار والخسائر التي لحقت بدول الحلفاء والدول الملحقة بها من جراء الحرب وقد ترك هذا الأمر لقرار تقدمه لجنة التعويضات من الحلفاء بعد سنتين وتبين فيه

مقدار ما يجب ان تدفعه ألمانيا وكيفية الدفع , ولكن ر غم ذلك فقد طلب من ألمانيا ان تدفع مبلغ (خمسة بلايين دولار) فـي أول الأمر إلى أن ينظروا في الحساب , كما طلب منها ان تبني للحلفاء سفناً عوض السفن التي أغرقتها , وان تقدم إلى فرنسا كميات هائلة من الفحم الحجري بدل المناجم التي دمرت.

وبعد طول مباحثات , اتفق زعماء الحلفاء على عقد اتفاقيات منفردة للصلح , وليست اتفاقية عامة واحدة , لأن الحرب قد غيرت الكثير من معالم الدول وعلاقاتها , وخاصة في الوسط وشرق أوروبا , حيث اختفت امبراطوريات أربع هى: امبراطوريات النمسا والمجر وألمانيا وروسيا القيصرية والدولة العثمانية .

وكان من الصعب في وسط ما حدث رسم حدود جديدة , لأن بعد انتهاء الحرب عام ١٩١٨ , بدأت أعمال العنف تبرز من حين لآخر فى انحاء القارة ففي (البلقان) اصطدمت يوغسلافيا بالنمسا بسبب (كارنثيا) مع الايطاليين بسبب (فيوم) , واحتلت رومانيا (بساربيا) , واقتتل اليونانيين والاتراك لمدة ثلاث أعوان فى آسيا الصغرى ، ووقعت معاهدة الصلح معاهدة فرساي مع ألمانيا يوم ٢٨يوليو ١٩١٩ , و(معاهدة سان جيرمان) مع النمسا و(معاهدة تريانون) مع المجر , و(معاهدة تويللى) مع بلغاريا و(معاهدة سيفر) مع الدولة العثمانية (معاهدة لوزانا) يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٣. لم تختلف هذه المعاهدات التي فرضت على الدول الأخرى المندحرة في الحرب عن (معاهدة فرساي) في خطواتها العامة.

الفصل الرابع

أوروبا بين الحربين العالميتين

- تطور أوروبا بين الحربين
- ظهور الدكتاتوريات
- الشيوعية فى روسيا
- الفاشية في إيطاليا
- النازية في ألمانيا
- العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين
- عصبة الأمم

تطور أوربا بين الحربين العالميتين

ظهور الدكتاتوريات :

اعتقد كثير من الساسة والمفكرين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن خير النظم السياسية التي تكفل سعادة المجتمع ورخاء الانسان المادي والمعنوى هي النظم الديمقراطية المتمثلة بالمجالس النيابية، وبالحرية الفردية في الفكر والعمل لجميع أفراد الشعب، فاتجهت جميع دول أوربا لاقامة حكومات ديمقراطية تستمد سلطتها وسياستها من البرلمانات، ممثلى الشعب، وتبقى في الحكم ما بقيت ثقة تلك البرلمانات بها، حتى ان روسيا القيصرية وتركيا العثمانية لم تستطيعا مقاومة هذا التيار، فدعت الأولى مجلس الدوما» للانعقاد، ودعت تركيا مجلس المبعوثان) وكلاهما برلمان يجتمع فيه النواب باسم الشعب. ولكن مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى وبطء الاجراءات البرلمانية في حلها دفعت بعضهم الى الاعتقاد بعجز البرلمانات عن حل مشكلات البلاد، فتطلع الناس الى أنظمة جديدة تساير التطور الجديد، وأن خير انظمة الحكم هي وضع السلطة بيد فئة محدودة أو رجل مخلص كما كان الحال عند الرومان في ساعات الشدة. فظهرت في نهاية الحرب وأعقابها أنظمة دكتاتورية جديدة كان أبعدها أثرا الشيوعية والفاشية والنازية، ساعد على ظهور الدكتاتورية الأزمة الاقتصادية (١٩٢٩-١٩٣١) التي عمت أوربا بخاصة والعالم بعامة .

١- الشيوعية في روسيا :

كانت روسيا أول دولة أوربية انقلب فيها نظام الحكم في أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد قامت الثورة الشيوعية فيها سنة ١٩١٧ نتيجة البؤس الذي كان يسحق سواد الشعب الروسي وفساد الحكم القيصرى وهزيمة حكومة القيصر أمام اليابان سنة

١٩٠٥ ، ثم أمام الألمان سنة ١٩١٦، ١٩١٧ . وقد تزعم الثورة الحزب الشيوعى وتسلم قيادتها لينين الذي قضى على أسرة القيصر الحاكمة، وعقد الصلح مع الألمان، ثم أعلن السوفييت (أي المجالس الشعبية المحلية الاشتراكية وتأميم وسائل الانتاج وعمل على محو الفوارق بين الجماعات القومية المختلفة في روسيا، كما أعلن دكتاتورية العمال والفلاحين المتمثلة في الحزب الشيوعي .

وقد استطاع هذا النظام أن يدافع عن نفسه سنوات طويلة ضد الهجوم العسكري الغربي عليه من كل جانب كما استطاع أن يثبت سنوات طويلة مريرة أمام الجماعة ونقص السكان وعمليات التخريب وقد مات لينين سنة ١٩٢٤، فتولى قيادة الاتحاد السوفيتي بعده رفيقه ستالين حوالي ثلاثين سنة حتى توفي عام ١٩٥٣. وقد استطاع الاتحاد السوفياتي القيام بسلسلة متتالية من المشاريع عرفت بمشاريع السنوات الخمسة جعلته يقفز بالبلاد الى النهضة الشاملة، وأن يتزعم النضال الاشتراكي العالمي ضد الرأسمالية الغربية، وأن يصبح منذ الخمسينات احدى القوتين اللتين تتجاذبان النفوذ العالمي. غير أن هذا النظام قد انهار في مطلع التسعينات من هذا القرن.

الفاشية في ايطاليا :

برز في ايطاليا شعور من خيبة الآمال أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى. فقد شعر الايطاليون بأنهم لم يفوزوا الا بالتافه الزهيد من الغنائم بالرغم من أنهم كانوا في عداد الدول الظافرة وأنهم عانوا أهوالا شديدة. وعندما قامت الحرب وجد الايطاليون أنفسهم يعانون من الضرائب العالية وارتفاع أثمان الأغذية وندرة الوقود. فكثرت الاضرابات وانتشرت البطالة وساءت احوال الناس، وتعددت الأحزاب وضعفت الوزارات وانتشرت المبادىء الشيوعية في البلاد، وظهرت ردة فعل في البلاد ضد الشيوعية وقد تمثلت ردة الفعل هذه في الحزب الفاشي وزعيمه بنيتو موسوليني،

الـذي حـدد مبادئـه فـي محاربـة الشـيوعية والتنظـيم التعـاوني للدولـة والوصـول الـى المكاسب الاستعمارية التي حرمت منها ايطاليا في مؤتمر الصلح .

وتقوم النظرية الفاشية على احتقار الحرية البرلمانية، وتلح على تفوق الدولة وعلى ضرورة اجبار الفرد طوعا أو كرها لمشيئة الدولة وهذه الدولة يجب أن يكون على رأسها زعيم وعلى هذا الزعيم أن يركز جميع السلطات بين يديه. وقد قاومت الفاشية مبدأ الشيوعية الدولية واستعاضت عنه بمبدأ قائم على الاشتراكية القومية المتحمسة . وقد قام الحزب الفاشي بعمليات اغتيال وأعمال عنف رهيبة ضد خصومه.

وعندما قويت شوكة الحزب زحف موسوليني وأتباعه ذوو القمصان الى روما، فاضطر الملك فيكتور عمانويل الى تسليمه السلطة، ومنذ ذلك الوقت أضحى دكتاتور البلاد وحمل لقب «الدوتشي». وعمد الزعيم موسوليني (الدوتشى) الى الغاء الأحزاب وجعل السلطة كلها بيده، وأعلن حظر الاضطرابات والامتناع عن العمل، وأصبحت كل صناعة من صناعات البلاد شطرا من مشروع عام ضخم يقوم على التوفيق بين مصلحة العامل من جهة وعلى رخاء الصناعات التجارية وكفالة رءوس أموالها وضمان أرباح معقولة من ناحية أخرى. وقد أعاد التعليم الديني إلى المدارس وتصالح مع الكنيسية . ومن جهة أخرى، فقد ارتكب موسوليني أبشع الجرائم والأعمال لاقرار الاستعمار الايطالي في ليبيا، ثم التوسع الاستعمارى في الحبشة سنة ١٩٣٥، وفي ألبانيا سنة ١٩٣٦ . وكانت معارضة الدول الاستعمارية له سببا في اتفاقه مع ألمانيا النازية في حلف عسكري (محور برلين – (روما) فما أن أعلنت الحرب العالمية الثانية ، حتى دخلها بجانب ألمانيا. وانتهت الفاشية بهزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية .

النازية في المانيا :

سخط الألمان على القيود التي قيدتهم بها معاهدة فرساي، وعلى ما بها من ذل وقضوا فترة من الاضطراب والافلاس والبطالة استمرت سنوات عديدة بعد الحرب العالمية الأولى، حتى استطاع واحد من الأحزاب السياسية أن يشق الطريق الى الحكم ويتسلم السلطة عام ١٩٣٣ ، هذا الحزب هو حزب العمال الاشتراكي الوطنى (النازي)، وأما زعيمه فهو أدولف هتلر الذي سجل مبادئه في كتابه كفاحي»، وهي مبادى تقوم على أساس القومية العنصرية، وتؤمن بتفوق العرق الجرماني، وانشاء ألمانيا الكبرى التي تضم كل الألمان كما تطالب بامتلاك الدولة للشركات الاحتكارية والغاء معاهدة فرساي واستعادة المستعمرات الألمانية.

وقد أضحى هتلر منذ سنة ١٩٣٤ دكتاتور ألمانيا الأوحد ولقب بالفوهرر Fuhrer وأخذ في تطبيق مبادئة وكان أول نجاح له حين ضم منطقة السار الى المانيا سنة ١٩٣٥، ثم أعلن الغاء معاهدة فرساي وسلح الجيش الألماني تسليحا جعله من أقوى الجيوش العالمية، ثم ضم البلاد الناطقة بالألمانية في أوربا الى ألمانيا (الرايخ الثالث قطرا بعد ،قطر، فضم النمسا سنة ١٩٣٨ ثم بلاد السوديت سنة ١٩٣٩، ثم حاول ضم دانزيخ الممر (البولوني بالقوة. واتفق مع الاتحاد السوفيتي على اقتسام بولونيا فكان هذا الموقف سببا في قيام الحرب العالمية الثانية. وانتهت النازية مع هزيمة المانيا في الحرب العالمية الثانية .

العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين :

تميز الوضع الدولى في فترة ما بين الحربين بمميزات أهما:

المشاكل السياسية الناجمة عن معاهدات الصلح : كانت جميع الأحداث السياسية الهامة ذات الصبغة الدولية خلال الفترة التي توسطت الحربين العالميتين (١٩١٩-

١٩٣٩) نتيجة مباشرة للتسويات العامة التي أبرمت بين دول الحلفاء وأعدائها عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. ولقد كان كثير من بقاع العالم ابان هذه الحقبة يغلى بالحقد والقلق والبغضاء والتنابذ.

كثير من بقاع العالم ابان هذه الحقبة يغلى بالحقد والقلق والبغضاء والتنابذ والاضطرابات نتيجة لما أثارته معاهدات الصلح من الحنق وخيبة الأمل ومرارة اليأس وأسباب الانقسام والتفكك. ولم يكن تقويض دعائم الأمن الجماعى مباغتا أو غير متوقع فقد استمرت عملية التفكك والتداعى للمعاهدات طوال هذه الفترة دون أن تبذل الدول الكبرى سوى محاولات ضئيلة ومصطنعة لوقف تلك العملية، وذلك لطغيان المصالح السياسية الخاصة للدول على الأهداف الانسانية وأخذت القوة في العقد الرابع من هذا القرن تصبح الفيصل الأكبر في تسوية الشئون والمنازعات، وزاد التسلح تدريجا في جميع أقطار أوربا.

وأخذ الجو السياسي يتلبد بالغيوم شيئا فشيئا وانتهكت حرمة المعاهدات ومبادىء القانون الدولى دون حياء أو رادع، وما غزو اليابان لمقاطعة منشوريا وفتح ايطاليا للحبشة الا مثلان صارخان لما كان يجرى في ذلك العقد من الزمان. وقد أخذت الدول الديكتاتورية في هذه الفترة توحد صفوفها وتنظم هيئاتها، وبدأ التقارب بين ألمانيا وايطاليا واليابان ساعية الى الفوز ببعض الأسلاب لشعورها أن التسويات الماضية قد حرمتها هذه الغنائم، وتبين لهذه الدول أنه يمكنها أن تظفر بما تشتهى اذا ما لوحت بالقوة أو استخدمتها. وبدت لها الديمقراطية شعوبا قد ،هرمت وظهرت الدول الديمقراطية بطيئة في انجاز الاصلاحات الداخلية وعاجزة عن الوصول الى قرارات حاسمة. وكان خارطة أوربا السياسية عقب الحرب العالمية الأولى على أساس قومي لتنفيذ حق تقرير المصير قد طوق ألمانيا من جهة الشرق وروسيا من جهة الغرب بدول صغرى ضمنت الدول المنتصرة في الحرب استقلالها واعتقدت أن

ذلك يسهم في منع ألمانيا من العدوان ويقف في وجه انتشار الشيوعية، فشأت بذلك بولونيا، وتشيكوسلوفاكيا، وهنغاريا (المجر)، ويوغوسلافيا، غير أنها لم تستطع تخطيط الحدود بدقة كافية فنشأ ما يسمى بمشكلة الأقليات القومية وقد سبب ذلك اثارة المنازعات فيما بعد.

- **عصبة الأمم :**

لقد قرر مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ انشاء هيئة دولية لمنع الحرب في المستقبل ولحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية، فأنشئت عصبة الأمم. ولكنها منذ اللحظة الأولى بدأت ضعيفة لاستنكاف الولايات المتحدة عن عضويتها وسيطرة الدول الكبرى عليها وتأخر المانيا وروسيا في دخولها كما أنها لم تكن تملك الوسائل الكافية لمنع الاعتداء أولا لاسكات المدافع عن أن تحكم. وإذا كانت نجحت في السنوات العشر الأولى في حل خلافات الدول الصغرى (كما في خلاف السويد وفنلندا بشأن جرينلاند سنة ١٩٢٠ وخلاف اليونان وبلغاريا سنة ١٩٢٥

في السنوات العشر الأولى في حل خلافات الدول الصغرى (كما في خلاف السويد وفنلندا بشأن جرينلاند سنة ١٩٢٠ وخلاف اليونان وبلغاريا سنة ١٩٢٥ و خلاف تركيا والعراق بشأن الموصل سنة (١٩٢٤ الا أنها كانت تفشل دوما حين يتعلق الخلاف بدولة من الدول الكبرى. وقد سجلت الفشل تلو الفشل منذ عام ١٩٣١ . فلم تستطع منع اليابان من احتلال منشوريا عام ١٩٣١ ولما رفضت الاعتراف بالحكومة المنشورية الجديدة انسجت اليابان من العصبة وعجزت عن منع الحرب بين باراغواى وبوليفيا وعن منع ايطاليا من احتلال الحبشة عام ١٩٣٥، ولم تجدها شيئا العقوبات الاقتصادية التي فرضتها على ايطاليا التي انسجت منها. كما لم تستطع تحديد التسلح .ثم كالت ألمانيا الضربة تلو الضربة لعصبة الأمم دون ان تستطيع العصبة حراكا، فمزق هتلر القيود العسكرية التي فرضتها معاهدة فرساي

على ألمانيا، ثم احتل النمسا ومنطقة السوديت، ثم ألحق تشيكوسلوفاكيا كلها بألمانيا وتعدى على هنغاريا (المجر) ثم على بولونيا .. والعصبة لا تحرك ساكنا. والذين أعلنوا الحرب انجلترا وفرنسا) لم يعلنوها باسم عصبة الأمم ولكن باسم دولهم الحلفاء). ولم تنجح العصبة الا في الشئون الصحية والاجتماعية والثقافية شأنها شأن هيئة الأمم حاليا . وانهارت العصبة بعد اعلان الحرب العالمية الثانية.

ولعل مصير هيئة الأمم المتحدة اليوم وتسلط الولايات المتحدة والدول الامبريالية عليها شبيه بمصير عصبة الامم هذه.الظروف الدولية قبيل الحرب العالمية الثانية : لقد أصرت الدول الديمقراطية حتى اللحظة الأخيرة على اغماض عينيها عن رؤية الخطر الداهم الذي يهدد سلامتها فواصلت الولايات المتحدة سياسة العزلة واطمأنت انجلترا الى صولة أسطولها وعظمتها ودهاء سياستها، فلم تبذل جهداً جديا لوقف الدول المحرومة كايطاليا واليابان أو الدول التي أحسست بعار الهزيمة وذل التسليم كألمانيا لكف يدها عن البطش والعدوان وبدأت انجلترا وفرنسا في الأعوام القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية سياسة عرفت بسياسة التهدئة تميزت بالضعف السياسي وظهر الخلاف جليا في مناسبات عديدة، وكان هتلر يعرف ذلك فاستغل الانشقاق بينهما فضم منطقة السار عام ١٩٣٥ بعد استفتاء أجرى باشراف عصبة الأمم وجاءت نتيجته في مصلحة المانيا. وأعاد نظام التجنيد الاجبارى، وأنشأ قوة بحرية، وأقام المصانع لانتاج الأسلحة والطائرات الحربية.

على الرغم من مخالفة هذه الأمور المعاهدة فرساي ولم تر بريطانيا في هذا ما يثير قلقها مما باعد كثيرا بينها وبين فرنسا ورأت هذه (فرنسا) أن تتجه نحو روسيا وسعت الى توثيق صلاتها مع الحكومة السوفيتية وفي ٢ من مايو عام ١٩٣٥ أبرمت معها معاهدة كانت في صميمها تحالفا عسكريا حربيا ولو أنها اتخذت في ظاهرها صفة ضمان متبادل في نطاق عصبة الأمم.

غير أن هتلر رد على هذه الاتفاقية بازدياد التقرب من انجلترا وأفلح في أن يعقد معها معاهدة بحرية في يونيو عام ١٩٣٥ وافقت انجلترا بموجبها أن يخرق هتلر بنود معاهدة فرساى الخاصة بتحديد قوة ألمانيا البحرية تحديدا صارما مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية ورضيت انجلترا أن يحدد حجم الأسطول الألماني الذي ينوى هتلر بناءه ٣٥ بالمئة من مجموع حمولة الأسطول البريطاني. ثم انتهز هتلر فرصة حرج مركز ايطاليا الدولى خلال الحرب الحبشية فايد موسوليني تأييدا قويا فوريا في تحديد لقرارات عصبة الأمم، وأدرك هتلر أن فرنسا لن تحمل السلاح بمفردها ضد ألمانيا اذا هي أقدمت على احتلال الرين واعادة تحصينها ففعل ذلك. وقد زادت الحرب الأهلية الاسبانية في التقارب بين ألمانيا وايطاليا حيث دعم الألمان والطليان قوات الجنرال فرانكو الذي قام ضد الحكم الجمهوري في اسبانيا. ولما كانت النازية في طبيعتها عدوا لدودا للشيوعية فقد اصلى هتلر الشيوعيين حربا قاسية ورأى في اليابان العسكرية وايطاليا الفاشية حليفتين طبيعيتين فوثق العلاقات السياسية بهما.

وفي خريف عام ١٩٣٦ وقعت اليابان وألمانيا ميثاقا ضد الشيوعية ثم انضمت ايطاليا الى هذا الميثاق حيث أعلن الزعيمان هتلر وموسوليني وسط مظاهر الحماسة الشديدة اقامة محور برلين – (روما) بوصفه تحالفا سياسا ذا أهمية لا تقدر والخير أوربا وحفظ السلام في ربوعها». ولم ينقض وقت طويل حتى أفلح هتلر في عقد حلف كبير معاد للشيوعية ينتظم ألمانيا واليابان وإيطاليا وأسبانيا وهنغاريا (المجر). وبدأت الحكومة النازية تطالب بالمستعمرات وتضم المناطق التي يسكنها الألمان، عندئذ اخذت الدول الديمقراطية تتقارب فالغيت المعاهدة البحرية البريطانية الألمانية، وبدأت المفارضات بين فرنسا وروسيا وبريطانيا، غير أن العالم فوجىء بتحول خطير

في الموقف الدولي حينما أعلن عن توقيع معاهدة . عدم اعتداء بين ألمانيا وروسيا عام ١٩٣٩ .

وهكذا انقسم العالم مرة ثانية الى معكسرين لكل منهما فلسفته ومطامعه ونظامه الداخلي :

١ – معسكر المحور ويضم الدول الدكتاتورية ذات الحكم الفردى وهي ألمانيا وايطاليا واليابان .

٢– معسكر الحلفاء ويضم الدول الديمقراطية المتمثل بانجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

وخيم بذلك شبح الحرب على العالم مرة ثانية وكانت الشرارة التي أشعلت الحرب الثانية هي اكتساح الجيش الألماني لبولندا في أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، فأعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا وبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية .

الفصل الخامس

الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩- ١٩٤٥م)

- أسباب الحرب العالمية الثانية
- قيام الحرب العالمية الثانية.
- أدوار الحرب
- نتائج الحرب العالمية الثانية

أولاً : الحرب العالمية الثانية :

مقدماتها :

هذه الصفة العالمية التي بدأت تأخذها الحروب الكبرى في هذا القرن هي نتيجة طبيعية لترابط العالم بعضه ببعض في المواصلات وفي الانتاج والثروات وفي المصالح، وتبنيه في مجموعة حضارة واحدة نسميها بالحضارة الغربية ولا نسمى هذه الحروب عالمية لاشتراك معظم دول العالم بها فقط، ولكن لأن ميادينها أيضا موزعة في أنحاء الكرة الأرضية وتحاول الدول المتحاربة بكل وسعها أن تجعل حربها حربا مبررة، وذلك باعطائها صفة الدفاع عن مبدأ معين ذلك لأن الحروب الحديثة التي تجند فيها الأمم كلها وتعلن باسم مصلحة الأمة تختلف عن الحروب القديمة التي كان جنودها دوما من المرتزقة وتعلن في الغالب لتنفيذ المطامع والمصالح الشخصية.

ثم ان الفتك في هذه الحروب العالمية أقصى وأرهب منه في أي حرب عرفتها البشرية من قبل ونطاق الخسائر أوسع في الأرواح والتدمير والأموال.

أما أسباب الحرب فهي كالعادة أسباب بعيدة لا تعود الى السنين التي نشبت بها ولا الى الجيل الذي اصطلى نارها . معاهدة فرساي التي قيدت ألمانيا بقيود ثأرية : في الغرامات الباهظة وفي قيود التسلح، وفي التجزئة بالأرض والاقتطاع منها، للدول المجاورة، هذا عدا الحرمان من الأسطول التجارى ومن المستعمرات . . وقد عادت ألمانيا الهتلرية تتحرر من هذه القيود جميعا معلنة حاجتها للمدى الحيوى» يدفعها الى ذلك عوامل اقتصادية واعتبارات وطنية عنصرية وفيض من التسلح الهائل .

٢ – فشل عصبة الأمم ومشاريع التعاون الدولى ومؤتمرات السلام وتخفيض التسلح في مهماتها وانسحاب اليابان منها عقب متشوريا) وايطاليا (عقب الخيشة وألمانيا.

- قوة الدول الدكتاتورية في ذاتها واتفاقها بعضها مع بعض بمحور برلين – روما ومحور برلين – طوكيو. وأخيرا معاهدة عدم الاعتداء بين برلين – موسكو قبل قيام الحرب عام ١٩٣٩ بأسابيع. اختلال التوازن الدولى وتوسع اليابان في الشرق الأقصى) وألمانيا (في القارة الأوربية وايطاليا (في القارة الأوربية وأفريقيا) توسعا هدد الدول الاستعمارية الأخرى في امبراطورياتها المترامية .. فاليابان كانت تستولى شيئا فشيئا على الصين وتحرم دول الغرب الرأسمالية من سوق تقدر العالم. وألمانيا كانت تطالب بالمدى الحيوى وايطاليا كانت تطالب بنيس وبتوس من فرنسا، ويقول موسوليني فيها عندنا أربعون درجة من الحمى، يجب أن تمتد أو تنفجر ا»

هـ – وأخيرا جاءت الشرارة التي أشعلت النار من قضية الممر البولوني.

ذلك أن عصبة الأمم وقفت عاجزة أمام التوسع الألماني في النمسا فلما أراد هتلر اقتطاع مناطق الأقلية الألمانية (السوديت) من تشيكوسلوفاكيا حدثت أزمة دولية كانت تؤدى الى الحرب لو أن انجلترا وفرنسا كانتا على استعداد لخوضها، ولكن الأمر حل حلا سلميا اذا اجتمع تشمبرلن رئيس حكومة انجلترا ودالاديه رئيس الوزارة الفرنسية مع هتلر وموسوليني في ميونخ ٢٩ أيلول سنة ١٩٣٨ وخرجوا باتفاقية ميونخ التي أعطت هتلر ما يطلب وحسبت الدول الديمقراطية أنها أنقذت بهذه الاتفاقية السلم وأنقذت العالم لكن ما كاد يمضى ستة أشهر عليها حتى ضمت ألمانيا سائر مناطق تشيكوسلوفاكيا اليها (ماعدا السلوفاك التي اعتبرت تحت الحماية) عام (١٩٣٩) ثم أعلن منتظر مطالبته يضم الممر البولوني الذي يفصل بين ألمانيا وبروسيا وبمدينة دانزيغ الحرة التي يبلغ الألمان فيها ٩٦٪ وكان على الدول الديمقراطية أن تقف منه موقف الحزم اذا شاءت أن يظل لها احترامها وتظل مصالحها الاستعمارية دون مس. فوقعت انجلترا وفرنسا مع بولونيا تحالفا تضمن فيه

استقلال بولونيا وحمايتها. وكان جواب هتلر على ذلك أن أعطى الأمر لفرقة بالهجوم في أيلول عام (١٩٣٩ على الأرض البولونية. بعد أن ضمن روسيا وإيطاليا واليابان في جانبه وبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية .

أدوار الحرب :

مرت هذه الحرب بأدوار ثلاثة دور النصر الهتلرى (١٩٣٩ – ١٩٤١) ودور التوازن، أو السنة القلابة (١٩٤٢) ودور الانهيار الألماني (١٩٤٣ – ١٩٤٥). دور النصر الهتلرى : (١٩٣٩ – ١٩٤١) في هاتين السنتين انتصرت ألمانيا في بولونيا واحتلت الدانمارك والنرويج، ثم هاجمت هولندا وبلجيكا واحتلت ثلثى فرنسا وعند ذلك دخلت ايطاليا بجانبها . بينما هدفت الطائرات الألمانية تهديم بريطانيا ثم انثنت نحو روسيا، فاكتسحت غربها كله وانساحت جنوبا فمرت بيوغوسلافيا واليونان ووضعت مقدمات جيوشها في كريت بينما كانت جبهة ليبيا تتراوح كرا وفرا بين جيوش المحور والجيوش البريطانية .

بولونيا :

لم تستفد بولونيا، بسبب موقعها الجغرافي من ضمان انجلترا وفرنسا لها، وبالرغم من أن هاتين الدولتين أعلنتا حالة الحرب مع ألمانيا وأعلنتها بلاد الدومنيون الانجليزية فان الحرب الصاعقة (أي الحرب الآلية الساحقة بالدبابات والطائرات حطمت الدفاع البولوني. وكانت الجيوش الألمانية تدخل فرسوفيا ولما يمض بعد أربع أسابيع على بدء الحرب.. واستغلت روسيا الفرصة، اذ في الوقت نفسه كانت الجيوش الروسية تحتل شرقي بولونيا (بالاتفاق مع الألمان) وتجتاح دول البلطيق وتهاجم فنلندا ... لكن حربها لهذه الدولة دامت طويلا لأنه لا الروس استخدموا قواتهم الحقيقة ولا انجلترا وفرنسا استطاعتا ارسال الأمداد لفنلندا بسبب بقاء الدول السكاندينافية على

الحياد وانتهى الأمر بتوقيع الصلح مع روسيا وكسبت روسيا كسبا آخر أيضا: مقاطعة بسارابيا من رومانيا.

الدانمرك والنرويج :

كانت ألمانيا تعتمد في قسم كبير من معدن الحديد الضروري لصناعتها الحربية على شمالى السويد وكان مرفأ نارفيك المرفأ الطبيعى لذلك الحديد وبينه وبين المرافىء الألمانية امتدت خطوط بحرية كثيرة على طول المياه الأقليمية النرويجية واعتبر الحلفاء ذلك خرقا لحياد النرويج ودخلت عمارة انجيزية فضربت بعض السفن الألمانية في احد الفيوردات عام ١٩٤٠ فقرر هتلر حماية خطوط الحديد البحرية باحتلال الترويج ولاسيما وأن فيورداتها قواعد طبيعية جيدة للغواصات في هجومها على بريطانيا، وفي مطالع نيسان أرغمت كل من الدانمرك والنرويج على طلب حماية الجيش الألماني ضد الحلفاء واحتلتا . وقد حاولت النرويج المقاومة بمعونة الأسطول البريطاني ونزلت بعض الجنود في نامسوس ونارفيك ولكن الطيران الألماني وفرق المظليين سمحت للألمان باحتلال النرويج جميعا في شهرين .. وانسجت منها فرق الحلفا وعين الألمان عليها رئيسا اسمه كيسلنغ بدل الملك الهارب.

الجبهة الغربية :

مضت ثمانية أشهر ولم تصطدم جيوش الألمان بالحلفاء، وكانت فرنسا تنام وراء خط ماجينو المتين على طول الحدود الشرقية، والذي لم يكن يعد له الخط الألماني المقابل له خط سيغفريد، وبالرغم من أن قيادة الحلفاء برئاسة الجنرال عاملان كان تنتظر الهجوم عن طريق البلجيك كما في الحرب السالفة، (الحرب الصاعقة التي طبقت في سهول بولونيا لا تطبق في غابات ومرتفعات الأردن. عدا

ايمانهم بتفوق الدفاع دوما فان ،بلجيكا، اعتمدت على حيادها ولم تتخذ أي اجراء جماعي، وفي صباح ١٠ مارس عام ١٩٤٠ بدأ الهجوم الألماني على طول الجبهة من هولندا حتى الألزاس وأسرع الحلفاء فسبقوا لاحتلال بلجيكا على حسب الخطط التي رسموها فحشدوا أحسن فرقهم المصفحة والآلية، ولكن رهبة الهجمة الألمانية كانت أقوى من تنبؤاتهم وتمزقت فرق الحلفاء المصفحة فلم تستطع أن تقاوم الدبابات الألمانية كتلا وراء كتل، بينما كان الطيران الألماني الساحق يقطع المواصلات ويدمر المدن نوتردام (وأنفراس ويقضى على معنويات الجيوش، وهكذا منذ ١٥مارس) أي في أربعة أيام كانت المقاومة الهولندية قد سحقت وقد غادرت الملكة البلاد الى لندن. وأما المقاومة البلجيكية فمهددة تهديدا قويا .

في هذه الأثناء أتى نبأ ساحق جديد لقيادة الحلفاء، ذلك أن فرقا المانية أخرى مصفحة قد اجتازت الأردن ونهر الموز منذ ١٣ مايو وانتصرت على الفرق الفرنسية الضعيفة في تلك النقطة التي كان الحلفاء يعتقدون أنها محمية حماية طبيعية.

من مع وقد اتجهت فرق الألمان شمالاً نحو بحر المانش مطوقة بذلك الجيش البلجيكي الخلف فاضطر الجيش كله للاستسلام (٢٨مايو) وضع الحلفاء بأن ملك البلجيك خانهم وبأنه لم يمت مع جيشه الحماية انسحاب فرقهم التي تجمعت في دونكرك، وبدأت تجلو على الأسطول الانجليزي تحت وابل من قنابل الطائرات الألمانية . وانسحب بهذا الشكل (٣٥٠) ألفا، وفي الرابع من حزيران كان الجلاء قد تم. ولكن كل المعدات كانت قد تركت للألمان ومنها (٥٠) ألف سيارة و (٢٤٠٠) مدفع و (٧٠٠) طائرة .

واستقدم الفرنسيون الجنزال ويغان وكان في سوريا) بدل غاملان لتنظيم الدفاع ولكن الدفاع بدا غير مجد برغم أنهم خسروا فيه حوالي مليون جندى، لأن التفوق الألماني الآلى كان ساحقا، واخترق الألمان خطوط السوم الدفاعية ووصلوا وادى المارن وبدت خطوط ماجينو مهزلة !! بينما كان الذعر يعم فرنسا، والمدنيون يهاجرون ويملأون الطرقات وتحصدهم المدافع الرشاشة الألمانية من الطائرات في تلك الفترة .

أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء وهجمت عبر الألب وفي ١٤ يونيو داخل الألمان باريس التي أعلنت مدينة مفتوحة هل تتابع فرنسا الحرب في شمالي أفريقيا وتنقل اليها مقر الحكومة أو تقبل اقتراح انجلترا بتكوين اتحاد بين الحكومتين أو تهادن الألمان وتنهي الحرب. لقد استقالت الحكومة الفرنسية وأعلن المارشال بيتان أحد أعضائها انتهاء المقاومة التي لم تعد تجدى وبدأ المفاوضة للهدنة. وقد أقرت في حزيران في بلدة كومبين. وقد قسمت فرنسا بموجبها قسمين قسما محتلا يشمل المناطق الشمالي والغربية. وقسما غير محتل ويشمل وسط فرنسا وجنوبها ومركزه فيشى، ولكن حكومته التي يرأسها بيتان تخضع خضوعا غير مباشر للألمانعلى أن الناس سمعوا في الثامن عشر من يونيو صوتا من راديو لندن يدعو الفرنسيين لأن يجتمعوا من حوله لمتابعة المقاومة لأن فرنسا خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب.

فكان هذا صوت أحد الجنرالات الفرنسيين الذين لجأوا الى انجلترا والذين عرفوا بنظرياتهم في الحرب الآلية الجنرال ديجول وانقسم الفرنسيون والامبراطورية الفرنسية بين موالين الحكومة فيشي وبين أنصار الحكومة ديجول التي سميت (فرنسا) الحرة) في لندن.

بريطانيا :

بعد معركة فرنسا أصبحت جميع السواحل القارية حول بريطانية بيد الألمان وقربت قواعدهم الجوية والبحرية فيها عند الشاطىء الفرنسي (المانش)، ولكن انجلترا بالمقابل كانت قد جمعت اليها كل القوى الحرة الهاربة من القارة من تشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا واستقال في تلك الفترة تشمبرلين وترأس الوزارة ونستن تشرشل الذي ذكر في أول خطاب له بمجلس العموم ١٣ مايو عام (١٩٤٠) ان هدف بريطانيا هو النصر مهما كلف من أهوال وطريق صعبة شاقة.

وبدأ الألمان هجومهم على انجلترا جوا بتفوق رهيب في الغارات الجوية العنيفة. وقد دام الهجوم قرابة ثلاثة أشهر سنة ١٩٤٠ ثم استمر ولكن بعنف أقل في شتاء تلك السنة ورافقته حرب بحرية في المحيط الأطلسي بلغت فيها الخسائر مبلغا كبيراً، ولكن الألمان وان لم يخسروا المعركة الا أنهم لم يرجعوا وفشلت طريقتهم في الحرب الصاعقة لانهاء حالة الحرب بسرعة.

البلقان :

كانت هذه الجبهة من نصيب الايطاليين، الا أن اليونان التي دخلت الحرب بجانب الخلفاء استطاعت اجلاء ايطاليا عن بعض أراضى البانيا، ونزل الحلفاء في كريت وبعض نقاط اليونان واضطر هتلر لاحتلال يوغوسلافيا ابريل عام ١٩٤١ واجتاح ما بينها وبين شبه جزيرة المورة في أقل من شهرين، ثم احتل جزيرة كريت مايو احتلالا مذهلا في عشرة أيام بعد أن ضربها بالطائرات وأنزل فيها المظليين وأطل بذلك اطلالا مباشرا على البحر الأبيض التوسط وقناة السويس ومواطن البترول .

ليبيا :

قام الحلفاء أولا بهجوم سبتمبر عام ١٩٤٠ أعقبه هجوم محورى ابريل عام ١٩٤١ ثم هجوم حليف ولم يتجاز الخصمان حدود مناطق برقة، غير أن القيادة المحورية أسندت الى المارشال رومل فهاجم بقواتة الميكانيكية جبهة الحلفاء، وتقدم في أرض مصر حتى أشرف على الاسكندرية وعسكر في العلمين أول يوليو عام ١٩٤٢.

روسيا :

لم يكن حلف عدم الاعتداء الذي عقد بين ألمانيا وروسيا سوى وسيلة لكسب الوقت على ما يظهر لأن الروس عملوا على تقوية حدودهم الغربية وهتلر، الذي شعر أنه كلما تأخر خسر الفرصة وضع مشروع بربروسيا لغزو روسيا واستثمارها، وبالرغم من أنه لم ينتصر بعد على انجلترا وأن من المجازفة بمكان فتح جبهة ثانية على ألمانيا. الا أن ١٧٠ فرقة ألمانية و ٣٠ أخرى فنلندية ورومانية حشدت سرا وأعطيت الأمر بالهجوم المفاجيء صباح ٢٢ حزيران عام ١٩٤١. وقد حقق هتلر انتصارات مبدئية كثيرة رغم اتساع الجبهة معتمدا على طريقته في الحرب الصاعقة، وكان يأمل بتحظيم آلة الحرب الروسية قبل ان تجتمع أو يحل الشتاء وباحتلال المراكز الحيوية (لينغراد، وموسكو... الخ) وبتأليف حكومة ضد الشيوعية ... واذ ذاك فلا قبل لانجلترا بمقاومته .

وتوغلت الجيوش الألمانية بسرعة فحطمت الدفاع الروسي حتى طوقت لينغراد في أيلول واحتلت كييف وخاركوف وحوض الدونتز وأصبحت موسكو مهددة (٥ تشرين (أول ولكن المقاومة الروسية ازدادت وخرب الروس على طريقتهم زمن نابليون – كل شيء قد يستفيد منه العدو وحل الشتاء ولم ينتصر أمام موسكو

فاضطروا لقضاء شتاء رهيب لم يكونوا قد تهيأوا له في سهول متجمدة يلفحها الصفيح.

الألمان

وانتصر الألمان في الصيف ١٩٤٢ حين ركزوا على القطاع الجنوبي، فاحتلوا سيباستبول ووصلوا القوقاز وبترولها وتقدمت جيوشهم حتى ستالينغراد على نهر الفولجا وكان هتلر يأمل أن يسيطر بسرعة على خطوط مواصلات الروس مع المساعدة الخلفية عبر بحر قزوين والفولجا وتركستان.

٢ – السنة القلابة ١٩٤٢ : بين صيف عام ١٩٤١ وصيف عام ١٩٤٢ بلغ النصر الألماني أوجه اذ كان الألمان يسيطرون على القارة الأوربية عدا) قسم من (روسيا) وطلائعهم في العلمين تشكل مع جيوشهم في القوقاز طرفى كماشة حول الشرق الأوسط في أوائل هذه الفترة وأتاهم النصر أيضا في مكانين آخرين

- الشرق الأوسط نفسه اذ مشت ثلاث بقاع منه في نطاق نفوذهم. لجا الحلفاء لاحتلالها العسكري :

فسوريا :

كانت بواسطة الحكم الفيشى والجنرال دانتز قد أضحت قاعدة للمحور في الشرق الأوسط، وجاءتها لجنة المانية ايطالية قادت حركة التجسس والتوطئة للنفوذ المحورى في سوريا وما وراءها من بلاد فاستعان الانجليز بالفرنسيين الأحرار لديهم وبمن يعطف على الحركة الديجولية من الضباط الفرنسيين في سوريا واحتلها مند ٨ يونيو عام (١٩٤١ من الجنوب والشرق، وأعلنت للسكان اعتراف الحلفاء جميعا باستقلال البلاد تطمينا لها وضمانا لتأييدها.

العراق :

ثار بزعامة رشيد عالى الكيلانى منذ مطلع مايو عام ١٩٤١ ووعده الألمان بالمساعدة العسكرية، ولكن هذه المساعدة تأخرت ووصل الجيش الانجليزي من الأردن قبلها فلم يقاوم العراق أكثر من شهر واحد ودخل الانجليز بغداد ٣١ مايو .

ايران :

أضحت مباءة لهم ومركزا للتجس فيما بين الحلفاء وروسيا، وأيدهم الشاه في ذلك فأقدم الحلفاء في ٢٥سبتمبر عام ١٩٤١ على احتلال البلاد: الروس من الشمال والانجليز من الجنوب. وأدى الأمر إلى تنازل انشاء ١٦سبتمبر وتوقيع تحالف روسى ايراني – انجليزي حرم الألمان هذه القاعدة في الشرق.

- **اليابان :**

بالرغم من بقاء اليابان على الحياد فان هتلر كان يأمل دخولها في جانبه والحلفاء كانوا ينظرون بامتعاض الى تهديدها لمستعمراتهم في الشرق الأقصى والمحيط الهادى. وحين تسلم الوزارة توغو المعادى للولايات المتحدة تبين اتجاه اليابان بوضوح، وبينما كان بعض مندوبيها يفاوض في أمريكا، هاجمت الطائرات اليابانية مع الأسطول قاعدة بيرل) (هاربور) الأمريكية ٧ ديسمبر عام (١٩٤١) فأعلنت الولايات المتحدة الحرب عليها، وتبعتها إنجلترا والبلاد التابعة لها والصين فأجابت ألمانيا وإيطاليا على ذلك باعلان الحرب على الولايات المتحدة.

ولم تكن أمريكا مستعدة للقتال فاستطاع اليابانيون بحرب صاعقة على النمط الألماني احتلال أهم المراكز الاستراتيجية التابعة للحلفاء في الشرق الأقصى (كالفلبين وسنغافورة واندونيسيا) وحاولت اقتحام أستراليا لو لا أن أحد أسطولها هزم في معركة جزر مرجان البحرية (٨٤ مايو عام ١٩٤٢) غير أن الحلفاء لم يكونوا

في صيف عام ١٩٤٢ برغم سيطرة النصر الألماني – الياباني بمركز خطر أو حرج، بل لقد حققوا جملة انتصارات هامة في هذه السنة: في الشرق الأوسط في ايران والعراق وسوريا تمهيدا لجعلها كتلة واحدة تقف خلف جيوشهم في العلمين وخلف الجيوش الروسية في القوقاز وستالينجراد.

٢ – في ضم الولايات المتحدة الى جانبهم ولم يكن اعلانها الحرب معهم آخر سنة ١٩٤١ الا اقرارا رسميا بحالة عداء واقعة مع المحور أو مع المثلث برلين – روما – طوكيو فبالرغم من رجحان كفة الانعزاليين الأمريكيين في مطلع الحرب، فان الرئيس روزفلت ماكان يخفي عطفه على الحلفاء ولا كان يجهل الخطر الذي يهدد أمريكا واقتصادياتها من نجاح المحور. فقام أولا بمعونة الخلفاء معونة أولية بجعل مبدأ ادفع واحمل في التجارة والذي كان قد أعلن منذ سنة ١٩٣٧ يشمل أيضا الأسلحة والذخائر ثم أيدهم ثانية بأن تخلي لهم عن (٥٠) مدمرة حربية مقابل استئجار ثماني قواعد بحرية في الأطلسي تابعة لهم، ثم أيدهم ثالثة (حين أخذت اعتمادات انجلترا المالية في الولايات المتحدة تنفذ باعلان قانون الاعارة والتأجير ١٦ مارس عام ١٩١٤) بعد مناقشة شهرين في الكونجرس الأمريكي ! فأصبحت الولايات المتحدة بحسب تعبير روزفلت «مصنع الديمقراطية» وغدت حكومتها تصنع الأسلحة على نفقتها وترسل الى الخلفاء !

وقد اتخذ الرئيس في الوقت نفسه عدة خطوات أخرى ضد المحور. فأغلق القنصليات الألمانية والايطالية وسمح للشفن الأمريكية بالتسلح لمقابلة من يتعرض لها بالنار ومدد الخدمة العسكرية الى سنتين ونصف السنة كما قوى انتاج الطائرات . . وكان انتخابه سنة ١٩٤٠ للمرة الثالثة نصرا للحلفاء في أمريكا، وقد التقى ١٤ أغسطس سنة (١٩٤١) مع تشرشل على مدرعة قرب ساحل نيوفاوندلاند ووضعا معا ميثاقا ذا ثمانية مواد عرف بميثاق الأطلسي ويتعلق بأغراض الحرب وتنظيم العالم

بعدها، وجاء به أن الدولتين لا ترغبان بأي توسع اقليمى ولا ترضيان عن أي توسع اذا لم يرض به أهل البلاد. وتودان اعادة السيادة لكل شعب سلبته الاعتداءات سيادته وتأملان توطيد السلم ونزع السلاح.. ولم تمض أربعة أشهر على اعلان الميثاق حتى كانت حادثة بيرل هاربور ودخلت الولايات المتحدة بوجه سافر المعمعة العالمية. وأعلن روزفلت معركة الانتاج أي السبق الى انتاج الأسلحة ونقلها، تلك المعركة التي قررت نتيجة الحرب .

في المقاومة الداخلية بالبلاد المحتلة، فقد التهبت كل بقاع أوربا من النرويج الى فرنسا الى يوغوسلافيا واليونان بالثوار الذين شكلوا عصابات تخريبية تعمل داخل القلعة الأوربية ضد الألمان، وكان الحلفاء يغذونها ما أمكنهم ذلك. وهكذا فبالرغم من وصول المحور واليابان الى ذروة القوة، فان النصر أضحى بعيدا عنهم أيضا، وبينما كانت قوى المحور قد أنهكت وطال عليها الأمد وبدأت في الهبوط كانت قوى الحلفاء بالعكس قد بدأت في التزايد والصعود اذ أخذ ثقل التدخل الأمريكي يظهر في جبهات روسيا وانجلترا وغيرها، وفي قمع حرب الغواصات الألمانية التي جعلت تغرق بمعدل ٨٠٠ ألف طن في الشهر، وأخذت قوافل الأسلحة على الخطوط البحرية العالمية تسير مطمئنة .

وجاءت الأحداث التالية لترجح الكفة ضد المحور خاصة وضد اليابان:

(أ) في الجبهة الروسية (النصر الرومي): ذلك أن روسيا التي ظلت تقاوم، شكلت جيشها وراء الخطوط ونقلت معاملها الى أورال وسيبريا واستفادت من المساعدات الحليفة وظلت ثقة البلاد قوية في ستالين وفي الحكومة السوفياتية. وتركز اهتمام الناس منذ أيلول سنة ١٩٤٢ بمعركة ستالينجراد الذي احتدم فيها القتال في كل شارع وكل بيت، وأخيراً طوق الجيش السادس الألماني شباط سنة (١٩٤٢ فيها واستسلم بعد أن خسر الألمان ثلث مليون قتيل وجريح وأسيرا وكان هذا النصر

نقطة الانقلاب في الحرب لأن قيادة الهجوم الروسي كانت أعطيت الى ستالين الذي أجبر الألمان على التراجع عن القوقاز في الشتاء، وفي أوائل الربيع وجد الألمان أنفسهم ينافلون في القرم وحول خاركوف.

(ب) ربح الحلفاء معركة المواصلات منذ خريف سنة ١٩٤٢ فأضحى باستطاعتهم تجميع قواهم حيث شاءوا وأن ينتقلوا من طور الدفاع الى الهجوم. وهكذا اختاروا الميدان الأفريقي وفي وقت واحد تقريبا سجلوا انتصارين فيه :

اذ استطاع الجيش الثامن الانجليزي بقيادة (مونتجمري) أكتوبر سنة (١٩٤٢) أن ينتصر في العلمين بعد معركة دبابات دامت عشرة أيام على الجيش الأفريقي المحورى ويرده على أعقابه.

انزال حملة شمال افريقيا :

فان الحلفاء أوصلوا في ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢) قافلة من (٨٥٠) سفينة أنجلو – سكسونية عبر الأطلسى وأنزلوا ماتحمل من جنود وعتاد في أفريقيا الشمالية التي احتلوها بقيادة الجنرال أيزنهاور بعد مقاومة قليلة من ممثلى حكومة فيشى مؤكدين بذلك سيطرتهم على البحر المتوسط خاصة في الجو والبحر. – الانهيار الألمان (١٩٤٣ – ١٩٤٥) :

بدء النهاية

منذ أواخر سنة ١٩٤٢ أضحت قوات المحور في أفريقيا بين شقى الرحى، فمن الشرق هجوم اضطرها للتراجع الى برقة ومن الغرب جبهة تستعد للهجوم عليها من حدود تونس فاضطرت لخوض حرب خاسرة، وبالرغم من أنها خرقت خط (ماريت) واحتلت تونس فانها استسلمت في مايو سنة ١٩٤٣ . وقد جاء هذا النصر الحليف القريب من نصر ستالينجراد الروسي، مقويا للمعنويات لدى أعداء المحور

وبـه بـدأت النهايـة التـي جـاءت علـى مراحـل : نـزول الحلفـاء فـي ايطاليـا وانهيـار موسوليني تابع الخلفاء سيرهم عبر ممر صقلية – تونس البحرى فنزلوا في ٣ آلاف سفينة فـي صـقلية ١٠ يوليـو سنة ١٩٤٣) ثـم فـي البـر الايطـالي ٣سبتمبر سنة ١٩٤٣ ولم يلقوا مقاومة تذكر من شعب أنهكته الحرب وأبغض النظام الفاشستي، وقد كانوا اتفقوا منذ نزولهم على أن يقوم المارشال باوليو بانقلاب عسكرى بنحى به موسوليني عن الحكم، وكان ذلك وسجن الدكتاتور حتى أنقذه الألمان بالطائرات، ولم يكن قد مضى خمسة أيام على نزول الحلفاء بايطاليا حتى عقدت معهم الهدنة، وأقامت الجمهورية ثم أعلنت الحرب على الألمان في ١٣ أكتوبر (١٩٤٣).

صدعت جبهتهم في الجبهة الروسية حاول الألمان في صيف سنة ١٩٤٣ أن يتخذوا لأول مرة خطة الدفاع، ولكن ضربات الجيش الروسي وسقط حوض الدينيبر ثم كييف بيد الروس، ولم يقف الهجوم الروسي في الشتاء اذ تابع سيره منذ ديسمبر سنة ١٩٤٣ بفرق جديدة فما طلع ربيع ١٩٤٤ حتى كانت جميع الأراضى الروسية تقريبا قد تحررت، وفي الصيف دخلت روسيا الى فنلندا وبولونيا ورومانيا.

– عقد المؤتمرات الكبرى :

رأى أقطاب الحلفاء منذ لاحت لهم بشائر النصر أن يجتمعوا لينسقوا خططهم الحربية، وكانت روسيا تلح عليهم بفتح جبهة ثانية فبدأ وزراء خارجية الدول الكبرى الثلاث انجلترا الولايات المتحدة روسيا) بالاجتماع في موسكو (١٩ – ٣٠) أكتوبر سنة (١٩٤٣) تمهيدا لاجتماع رؤساء تلك الدول الذي جرى في طهران في ٢٨ نوفمبر وحضره، روزفلت وستالين وتشرشل فدام ثلاثة أيام ووضعت فيه خطة مهاجمة «القلعة الأوربية.

وقبل هذا المؤتمر بأيام ٢٢ نوفمبر جرى مؤتمر القاهرة الذي اجتمع فيه روزفلت وتشرشل بزعيم الصين تشان كان تشيك، ووضعت فيه خطة طرد اليابان من المحيط الهادي ...

الجبهة الثانية والانهيار الألماني :

كانت الهزائم التي منى بها الألمان برا في روسيا وأفريقيا وايطاليا، وبحرا في حرب الغواصات بالأطلسي غير كافية لاستسلامهم، فشن الحلفاء عليهم هجوما رهيبا دونه معركة انجلترا سنة ١٩٤٠ دمروا به أكبر المدن الصناعية الألمانية، وعقد المواصلات والدفاع الساحلي وعطلوا معظم المطارات وتركوا ما يزيد على مليوني نسمة بلا مأوى في برلين المهدمة وهامبورج ودوسلدورف وكولونيا وحوض الرور . وبدأ الشلل يعتور آلة الحرب الألمانية في حين ظل الألمان يعلنون أن ألمانيا «قلعة لاتهاجم، ولكن الحلفاء استطاعوا الهجوم عليها ودك المقاومة الألمانية وارغامها على الاستسلام عن طرق أربع :

جبهة فرنسا التي عرفت باسم الجبهة الثانية: اختار الحلفاء النزول الى أوربا في ساحل نورماندي الفرنسي على المانش فعينوا أيزنهاور قائدا أعلى، واستعانوا على ذلك بالموانىء الاصطناعية التي ابتكروها، وبدأت عمليات الجبهة الثانية (في ٤ يونيو سنة (١٩٤٤ فتقدم الحلفاء في فرنسا تساعدهم قوات المقاومة (الماكي) ودخلوا باريس ٢٥ أغسطس التي أخلاها الألمان متجهين نحو الشرق وفي أيلول كان الحلفاء قد احتلوا بلجيكا وهولندا ووصلوا الحدود الألمانية. ولم يستطع الألمان الاستفادة من القنابل الطائرة التي ألقوا منها ٨ آلاف قنبلة على انجلترا من الشواطىء الأوربية القريبة ودخل الحلفاء (ايكس لاشابل) أول مدينة ألمانية ٢٧ أكتوبر من المقاومة التي أبداها الألمان بقيادة فون رونشتدت هذه المقاومة التي لم تسقط معها كولونيا، على الرين حتى ٦ مارس سنة ١٩٤٥ فان الخلفاء استطاعوا بعد ذلك

معاودة الهجوم في فبراير سنة (١٩٤٥ والوصول الى برلين ٧ مايو سنة ١٩٤٥).

جبهة ايطاليا : ولم يؤثر انسحاب ايطاليا من المحور وانضمامها إلى الحلفاء تأثيرا كبيرا على ألمانيا، ولم يقم الحلفاء كبير وزن لجبهة ايطاليا أيضا فلم يصلوا الى روما إلا في ٤ يونيو، وكان تقدمهم بطيئا والمقاومة لهم قوية حتى وصلوا شمالي ايطاليا في مارس سنة ١٩٤٤.

جبهة البلقان : كانت بلغاريا والمجر ورومانيا في جانب الألمان فهاجمها الروس منذ وصلوا الى ماوراء حدودهم وأرسلوا المارشال تيتو للعمل في يوغوسلافيا وحرموا ألمانيا من موارد البترول الكبرى. فلما شهد ذلك البريطانيون أسرعوا الى النزول باليونان أكتوبر وبالرغم من أن الحزب الديمقراطى المتطرف (ايلاس) قد قاوم الاحتلال البريطاني فان الجيش الانجليزي قضى عليه وقوى حزب ايام وما تزال اليونان تقاسي ويلات ذلك الاحتلال والنضال بين الطرفين الى اليوم.

جبهة روسيا : استفاد الروس من ضغط الجبهة الثانية على الألمان فاستطاعوا الهجوم على الأرض الألمانية دون كبير مقاومة واجتازوا نهر الفستولا ونهر الأودر وبدءوا باحتلال برلين منذ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٥ بعد أن احتلوا قبل عشرة أيام فيينا).

مؤتمر بالتا واستسلام المانيا واليابان : رأي الحلفاء قرب نهاية الحرب فرغبوا في تنسيق تدابيرها الأخيرة ووضع أسس اقتسام المانيا.

اقتسام ألمانيا

بعدها فعقدوا مؤتمر يالتا في شبه جزيرة القرم (٤ – ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ وقد حضرة ستالين وروزفلت وتشرشل وقبل الحلفاء بشرط روسيا وأهمها منطقة نفوذها في ألمانيا والاعتراف فقط بالحكومات التي أقامتها في بولونيا ويوغوسلافيا دون ما في

لندن من حكومات حرة ، ثم اجتمع تشرشل وروزفلت برجال الشرق العربي : فاروق الأول وابن سعود ورئيس الجمهورية السورية واتفقوا معهم على اعلان البلاد العربية الحرب على ألمانيا وعلى الدخول في هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب. وأعلن الحلفاء منذ تقدموا في أوربا أنهم لا يقبلون من ألمانيا الا الاستسلام دون قيد ولا شرط وللحلفاء جميعا معا فظل الألمان يقاومون حتى برلين التي بدأت معركتها في ٢٢ أبريل ١٩٤٥ ، وأعلن في ٣٠ منه اختفاء هتلر في ظروف غامضة لعلها انتحار وكان موسوليني قد لقى حتفه في ايطاليا قبل يومين كما أن روزفلت كان قد سبقهما منذ ١٢ أبريل وحل محله في الرئاسة نائبه ترومان، وبرغم استلال الأميرال دونتز قيادة الرايخ الثالث فانه اضطر لطلب الاستسلام الذي وقعه مندوبون عسكريون عن المانيا في مدرسة صغيرة بريمس في ٧ مايو سنة ١٩٤٥ واستطاع الحلفاء الآن ان ينصرفوا لحرب اليابان وحدها.

وقد كانت الحرب معها طويلة وشاقة واسعة الجبهة فيما بين المحيطين الهندي والهادي، فتمكن الحلفاء من احتلال بعض الجزر اليابانية (من أرخبيل ريوكيو) بعد حرب دامت ثلاثة شهور ومنذ ١٤ يوليو سنة ١٩٤٥ بدأت الأساطيل الانجليزية والامريكية بضرب اليابان واخيرا قرر رئيس الولايات المتحدة استعمال السلاح الحربي الجديد الذي ظلت تعمل بلاده له منذ عام ١٩٤١ حتى نجح وربحت به حرب المختبرات على ألمانيا نفسها وهو القنبلة الذرية) فأنذرت اليابان بالاستسلام دون قيد ولا شرط، ولما لم تجب ألقيت ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما فدمرت كل المدينة وأنتجت ١٩٠ ألف ضحية، ثم ألقيت الثانية بعد ثلاثة أيام على اليابان للاستسلام فعرضته (في ١٠ اغسطس ثم وقعته في ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ واحتلت الجيوش الأمريكية بلادها جميعا .

نتائج الحرب :

لم يحن الحين بعد لاستقصاء نتائج الحرب العالمية الثانية فانا لا نزال في غمرة تلك النتائج ولكنا نستطيع أن تتبين من الوجهة السياسية.

أولا : رجوع أوربا الى المكان الثاني بين القارات وبروز أمريكا الشمالية وآسيا، وانقسام العالم الى معسكرين تتزعم الأول روسيا والثاني الولايات المتحدة واحتلال هذين المعسكرين للقارة الأوربية مناصفة وللشرق الأقصى، وحددت نقاط توافق و خلاف بينهما في برلين واليونان وفي الصين وكوريا ظهر صداه بوضوح في هيئة الأمم المتحدة.

ثانيا : انقلاب أوضاع بعض الدول فاحتلت دول أوربا الوسطى من قبل الحلفاء، وتحول بعض البلاد من الملكية الى الجمهورية (كايطاليا واليونان) وتأسست الجمهورية الرابعة في فرنسا وتحول عدد من الدول أخيرا الى النظام الشيوعي، راغبة أو بالرغم منها كبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وقسم من ألمانيا والنمسا ثم يوغوسلافيا وبلاد البلقان عداااليونان ثم الصين كلها بما في ذلك التيبت بزعامة ماوتسى تونج وأخيرا جاء دور كوريا واستقلت معظم المستعمرات في آسيا وأفريقيا كسوريا ولبنان والهند التي تشكل منها دولتان مستقلتان : الهند والباكستان، ثم اندونيسيا وتخلصت من نير الدول الأوربية العتيقة كما استقلت معظم المستعمرات الأفريقية.

وأما من الوجهة العلمية فان هذه الحرب الأخيرة ككل الحروب الأخرى قديما وحديثا دفعت بالابتكار الانساني الى الأمام، فقد تقدم الطيران، وصناعة الآليات والفن العسكري في التنظيم والدعاية وطرق الحرب. وأهم من هذه كله أن الحرب بما كسبت في المختبرات حين سيطر العلماء على الطاقة الذرية واستخدموها في قنبلة.

وأما من الوجهة الاقتصادية : فانا لاتزال تسمع الصيحة التي ظهرت في نهاية الحرب من بناء عالم جديد فقد طلعت حقول الزراعة، ومعامل الصناعة، والمبادلات التجارية وطرق المواصلات البحرية خاصة البرية والجوية خلال الحرب. وتحولت كلها للأغراض الحربية. هذا الى التضخم في النقد الذي أصيبت به معظم الدول وتدنى أسعاره والى ارتفاع الأسعار ارتفاعا هائلا، والى مشاكل الفقر والبطالة وما تهدد المصانع الأمريكية خاصة من خطر الافلاس لعدم امكان تصريف المنتجات الصناعية وهذا ما اضطرت أمريكا لمعالجته في مشروع مارشال مثلا الذي حاولت به ايقاف الاقتصاد الأوربى على قدميه ليتمكن من شراء بضائعها المتراكمة ولن يخرج مشروع انعاش الشرق الأوسط وغيره عن هذا الهدف.

وأما في الحياة الاجتماعية : فنستطيع أن نضيف موجة التخريب الهائلة التي دمرت المدن الكبرى والقرى أنقاضا، واضطرار العالم اليوم لأن يعمل بالتعمير والاغاثة ثم موجة القتل الهائلة التي خسر بها العالم مالا يقل عن ثلاثين مليون ضحية عدا الجرحى والمشوهين وذوى العاهات هذا عدا ظهور المشاكل الاجتماعية الكبرى في الأمم القديمة واتجاها للاشتراكية (كانجلترا وفرنسا).

٢ – مؤتمر الصلح :

فلم يبدأ بعقده الا في ٢٩ يوليو عام ١٩٤٦ ، وقد عقد وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى "روسيا الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا"عدة اجتماعات لوضع مشروعات معاهدات الصلح قبل عرضها على مؤتمر الصلح الذي اجتمع في باريس وحضرته احدى وعشرون دولة. وظهرت منذ المناقشات الأولى اختلاف وجهات النظر بين روسيا ومن يدور في قطبها من الدول، وبين الجبهة الأنجلو سكسونية ومن يسير معها أيضا، ولهذا لم ينته مؤتمر الصلح إلى اليوم من أعماله والمشاكل التي عليه أن يحلها أقسى من أن يسمح الصراع العالمي الحالي بالتغلب عليها

كمشاكل ألمانيا المستعمرات الايطالية واليابانية ومشاكل تريستا والمضايق التركية والحدود الفرنسية – الايطالية والفرنسية – الألمانية، وحوض الرور، ومشاكل البلقان والحدود بين دولها المختلفة وقومياتها المتنافرة. هذا عدا مشاكل الشرق في الصين والتيبت والهند الصينية واندونيسيا، وتنازع الهند وباكستان، واصطدام انجلترا وروسيا في ايران.. وانما يزيد في تعقيد هذه المسائل اختلاف وجهات النظر بين الدول الكبرى هذا الاختلاف الذي انتهى مصير ومصير بحرب مقنعة في كوريا قد تهدد العالم كله بعد أن أعلنت الولايات المتحدة أخيرا قبل نهاية عام ١٩٥٠ حالة الطوارىء .

التجاء العالم السياسي :

يتجه العالم السياسي في تطوره الحديث منذ قرنين نحو الوحدة، ويمكن أن نلاحظ هذه الوحدة : في ذلك النمو الاقتصادي الذي بدأ بالانقلاب الصناعي في انجلترا وما لبث أن عم العالم وغير أسالب الانتاج والتوزيع والاستهلاك في الزراعة والصناعات والتجارة على السواء، وربط العالم بعضه مع بعض في مواصلات سريعة قريبة تطور خطوطها الجوية والبحرية والبرية خاصة أطراف الكرة الأرضية. جميع في تقدم العلم وتعميمه وشيوع ثقافة واحدة في كل أقطار الأرض وبالرغم مما نراه ظاهريا من ثقافة أنجلو سكسونية وأخرى فرنسة . الخ فان روحا واحدة تكمن وراءها وتغذيها هي أنها جميعا ثقافة غربية تعتز بشكسير الانجيزي اعتزازها بجوله ودوستويفسكي الروسي ودانتي الايطالي وباستور الفرنسي.

في تشابه الوضع السياسي بكل العالم فمنذ أعلنت الثورة الفرنسية أعلنت حقوق الانسان الطبيعية وظهر الاهتمام بالانسانية وجعلت مشاكل العالم تأخذ طابعا دوليا متزايد الارتباط والتشابك كما في مؤتمر فيينا وثورات عام ١٨٣٠ ثم عام ١٨٤٨ ثم تشابك العلاقات الدولية الذي مثله بسمارك خير تمثيل، وأخيرا انفجارا

الحرب الأولى واضطرار مختلف دول الأرض للاشتراك بها حتى ظهرت أول مؤسسة دولية عالمية : عصبة الأمم، وكان طبيعيا أن تفشل باعتبارها تجربة أولى فلما اشتعلت الحرب الثانية وقد كانت أكثر من الأولى عالمية واتساعا كان طبيعيا أن تظهر مؤسسة دولية ثانية أقوى هي منظمة الأمم المتحدة اليوم يعاونها مجلس الأمن. وقد يظهر اتجاه التوحد في العالم ظهورا أقوى واذا نحن تذكرنا سير جميع الدول نحو النظم الاشتراكية مثلا سواء بسواء أو تذكرنا زعامة العالم كانت في القرن التاسع عشر ضائعة وأنها تركزت بعد الحرب الأولى في عدة دول أوربية. بينما هي اليوم في قبضة دولتين: روسيا والولايات المتحدة. واذا تعثرت الوحدة العالمية اليوم بين المعسكرين فانها لابد آتية. فلقد عين منذ عهد غير بعيد شعار: والعالم الواحدة.

ثالثاً : منظمة الأمم المتحدة

في سنة ١٩٤٣ حين كانت نهاية الحرب في أرجوحة القدر، كانت المؤتمرات التي تجمع الدول الكبرى تبحث في خطوط كسب الحرب بينما غدت في سنة ١٩٤٤ تبحث في خطوط ما بعد الحرب وأهمها مؤتمر دومبرتون أوكس Dumber ton Oaks الذي عقده مندوبو روسيا والولايات المتحدة والصين وانجلترا بواشنطن في سبتمبر سنة ١٩٤٤) وكانت دلائل النصر قد استبانت فبحثوا في تنظيم السلم، واقترحوا في تأسيس منظمة عالمية تتنظم دول الأرض على أن تساندها القوة. وفي مطلع عام ١٩٤٥ وجهت الدعوات لمؤتمر تمهيدي لوضع ميثاق تلك المنظمة ودعيت اليه سوريا ولنبان بعد احتجاج اذ لم تدعيا أول الأمر برغم اعلانها الحرب على المحور واجتمعت في مؤتمر سان فرنسيسكو وفود (٥١) دولة بعد وفاة الرئيس روزفلت بأسبوعين، واستمر شهرين بين ٢٥أبريل و ٢٦ يونيو وبينما كانت جيوش الحلفاء تدخل المانيا وبرلين كان المؤتمرون يناقشون في ميثاق المنظمة الذي جاء في تسعة عشر فصلا تملأ ١٥٨ صفحة ويلحق به التواقيع التي بدأت توقع عليه

منذ ٢٦ يونيو حتى ٢٤ أكتوبر وفي أولها توقيع ممثل الصين لأن دولته كانت أول ضحايا الاعتداء. وقد ذكرت المادة الأولى من الميثاق أهداف منظمة الأمم المتحدة وحددتها كما يلي:

– صيانة الأجيال القادمة من الحروب.

– تأمين احترام حقوق الانسان الأساسية.

– حفظ كرامة الكائن الانساني وقيمته. المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل. المساواة بين الأمم الصغيرة والكبيرة. احترام المعاهدات وقواعد القانون الدولي العرفية.
– تأكيد سيادة العدالة.

– مؤازرة التقدم الاجتماعي للوصول لحياة أفضل.

أما وسائل المنظمة لتحقيق أهدافها فهي :

– مباشرة التسامح والسلام بين الدول.

– اتحاد الشعوب الحرة لصيانة الأمن والسلام.

– قبول وضمان الأساليب المؤدية لنبذ استعمال القوة في المشاكل الدولية الا فيما المصلحة العامة .

– اللجوء إلى المؤسسات الدولية لتأمين التقدم الاقتصادي والاجتماعي. وأما فروع المنظمة فقد فصلتها المادة السابعة من الميثاق كما يلي: الهيئة العامة لجميع ممثلى الدول الأعضاء.

مجلس الأمن. المجلس الاقتصادي الاجتماعي. مجلس الوصاية .

محكمة العدل الدولية. – هيئة الأمانة العامة .

وأهم هذه الفروع دون شك مجلس الأمن ويتألف من أحد عشر عضوا، (وقد أصبحوا خمسة عشر عضوا) خمسة منهم دائمون وهم انجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين وستة (وبعدها عشرة تنتخبهم الهيئة العامة لمدة سنتين يراعى فيهم التوزيع الجغرافي ولا يجدد انتخابهم فورا، وعلى هذا المجلس تقع المسئولية الرئيسية لصيانة السلام والأمن العالمي، فهو يضع خطط تحديد التسليح ويحقق في المنازعات ويقدم التوصيات أو يقرر اتخاذ التدابير القسرية في حالة تعكير احدى الدول للسلام ويساعده في المسائل العسكرية لجنة من أركان حرب الدول الدائمة، وقد انتخبت مصر عضوا في مجلس الأمن كما انتخبت سوريا لعضويته ويعتبر ميثاق سان فرانسيسكو حدثا عالميا هاما اذ لاشك أنه أعظم وثيقة سياسية في التاريخ. وقد سماه اللورد هاليفاكس مندوب بريطانيا) وثيقة السلم والعدل والتسامح والعمل.

وقد يذكرنا الميثاق بالحل المقدس سنة ١٨١٥ أو بعصبة الأمم، والواقع أنه لا يشبه الحلف المقدس الا في أن الاثنين وضعا خلال فترة حرب، وأما في المبادىء والأسس والأهداف فهو أقرب لعصبة الأمم، على أن منظمة الأمم المتحدة التي أقامها الميثاق سنة ١٩٤٥ تزيد عن العصبة في عدة نقاط أهمها: -

١- تؤكد المنظمة في أهدافها الحقوق البشرية الأساسية وكرامة الانسان والمساواة بين الجنسين وبين الدول وهو ماليس يوجد في العصبة.

٢ - جميع الدول العظمى أعضاء في المنظمة في حين لم تكن الولايات المتحدة ولا روسيا أعضاء في العصبة. يؤيد المنظمة في تدابيرها قوة بوليسية دولية تضعها الدول تحت تصرفها وتستطيع اللجوء الى المقاطعة والمنع والحرب في البر والبحر والجو عند الحاجة، وعدم وجود هذه القوة بيد العصبة هو الذي هدمها، وقد بدأت منظمة الأمم المتحدة عملها منذ سنة ١٩٤٦ واتخذت لنفسها علما وشعارا وتقيم اليوم

لنفسها مقرا في ليك سكسس قرب نيويورك، كما اجتمع مجلس الأمن عدة اجتماعات بشأن الدول العربية (قضية استقلال سوريا ولبنان وقراره بالجلاء عنهما – وقضية فلسطين والتقسيم والهدنة) كما بحث قضية مصر مع انجلترا اضافة الى قضايا أخرى بشأن اليونان واندونيسيا وايران وكوريا .

صورة للحرب العالمية الأولى

الحرب العالمية الأولى في ألمانيا

صورة عالمية للحرب وأوضاعها

الخرائط

أ
بريطانيا
روسيا
ألمانيا
فرنسا
النمسا
صربيا
إسبانيا
الدولة العثمانية
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي

الحرب العالمية الأولى

الخريطة الجغرافيا سياسية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى
النرويج
السويد
المملكة المتحدة
ايرلندا
هولندا
ألمانيا
بولونيا
فرنسا
سويسرا
النمسا المجر
رومانيا
بوسلافيا
بلغاريا
البحر الأسود
تركيا
اليونان
ايران
العراق
سوريا
لبنان
فلسطين
الأردن
مصر
البحر المتوسط
ليبيا
تونس
الجزائر
المغرب الأقصى
اسبانيا
البرتغال
الاتحاد السوفياتي

قائمة المراجع

١- جلال يحيي: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.

عبدالفتاح أبو علية، اسماعيل أحمد: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٣م.

- حسن جلال: الثورة الفرنسية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٠٩٣٧

- عبد الحميد البطريق ، وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي، القاهرة، ٠٩٩٧)

- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوربا والعالم في الحديث من ظهور البرجوازية حتى الحرب الباردة الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧ ،القاهرة.

- عمر عبد العزيز، التاريخ الأوروبي والأمريكيالحديث ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠٠٠)

- عمر عبد العزيز، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ١٨١٥ -١٩١٩، دار المعرفة الجامعية، اإلسكندرية، ١٩٩٢.

- محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس، أوربا في العصور الحديثة ، الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦١.

- محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٦ -١٨٤٨ دار الفكر العربي، ١٩٥٨.

- هربرت فشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية، ترجمة وديع الضبع دار المعارف، القاهرة، ط٣ ،٢.

-عبد اللطيف الصباغ: تاريخ أوروبا الحديث، مذكرة دراسية.

- عبد اللطيف الصباغ: تاريخ أوروبا المعاصر، مذكرة دراسية.

- سيد عبد العال: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، مذكرة دراسية.

-عبد العزيز سليمان نوار، عبدالمجيد نعنعي: التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ٢٠١٤.

- عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩.